

بِسْمِ اللَّهِ

وقفات مع ذكريات لها صلة بالمرأة

عبد الحميد رميته , الجزائر

فهرس

- 1 - أحسن ليلة في حياتي :
- 2 - بسبب رفضي لمصافحة امرأة أجنبية :
- 3 - رسول الله أعطى النساء نصف الدين وبقي لهن النصف الآخر :
- 4 - الأنثى خير:
- 5 - هل تقبل أن ترقص زوجتك أمام الرجال؟! :
- 6 - قابلي -أختي المسلمة - السيئة بحسنة :
- 7 - بين ضعف الإيمان والجهل بالإسلام :
- 8 - التجربة مهمة جدا إلى جانب العلم بالإسلام :
- 9 - حب التلميذة الكبير لأستاذها :
- 10 - فسد تلاميذنا وفسدت تلميذاتنا كذلك :
- 11 - قمة الجهل والجرأة على الله والبعد عن الحياء :
- 12 - إنه الشيطان لعنه الله :
- 13 - ما معنى الخلوة المحرمة بين الرجل والمرأة ؟ :
- 14 - الجمال بين الحجاب والتبرج :
- 15 - هذه أناية عندكن يا أختنا :
- 16 - جلوس تلميذ مع تلميذة خلف طاولة واحدة :
- 17 - " الباب اللي يجيئك مئو الريخ سدو واستريح " :

- 18- أسوأ قصة أو رواية قرأتها في حياتي :
- 19- عن غض بصري مع التلميذات :
- 20- إذا أردتم أن تكونوا رجالا لا ذكورا فقط :
- 21- أي شعر هذا ؟ :
- 22- عن خلوة رجل مع نساء و خلوة امرأة مع رجال :
- 23- كنت أرسل أستاذة الإنجليزية ! :
- 24- خجلٌ يسمونه - ظلما وعدوانا - حياء :
- 25- العلاقة المثلى للرجل مع زوجته :
- 26- راودها عن نفسها حتى يعطيها علامة جيدة في الاختبار:
- 27- عاداتٌ أحترمها وأخرى لا أحترمها :
- 28- تصويري مع تلميذات ولو من بعيد :
- 29- عن الماكياج للمرأة :
- 30- " اذهبن إلى بيوتكن ولا ترجعن إلى الثانوية إلا بلباس قصير وبلا خمار !" :
- 31- ما أقبحها من صورة للعروس في ليلة زفافها ! :
- 32- أولُ امرأة طلبتها للزواج قبل زوجتي :
- 33- إن لم تغير الفتاة لباسها فلن تدخل العروسُ بيتَ زوجها إلى يوم القيامة !:
- 34- أقصرُ مدة " حنة " للعروس في عُرس من الأعراس ! :
- 35- كل بني آدم خطأ :
- 36- يا ليتهم كانوا أنانيين فقط ! :
- 37- بالتعارف الحقيقي يتم التوافق والتفاهم :
- 38- لو كان خوفه من الله أكبر , لكان ذلك أفضل له ! :

- 39- عيب يا أختي الفاضلة ...:
- 40- " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه , وإنهم لكاذبون ":
- 41- يا ليتنا اتخذناهن صديقات :
- 42- قالت لي " هذا فقط - يا أستاذ - مظهر احترام منا لأزواجنا ! ":
- 43- عن زيارة الزوجة لأهلها :
- 44- بين مراعاة الدين والجمال في اختيار الزوجة :
- 45- من أجل خروج سافر لنساء مع عروس تزوج بها أحد أقاربي :
- 46- أختي صديقتي ! :
- 47- عن تعلق المرأة الزائد بالأحلام :
- 48- الكلام الفاحش البذيء من المرأة أسوأ :
- 49- " أريد أن تزوجني يا أبي على سنة رسول الله " !!! :
- 50- " لا يمكن أن يرى الأستاذ عبد الحميد ابنتي العروس ":
- 51- هل المطلوب النجاح في الدراسة أم البحث عن زوج؟! :
- 52- لم أصافحها فغضبت وقالت للتلاميذ ...! :
- 53- لماذا تُخَوِّف النساء من الرجال؟! :
- 54- لغو ثم لغو باسم البحث عن الزوجة الحلال :
- 55- أنا أخاف على نفسي من تدريس متبرجات تبالغن في التبرج ! :
- 56- قال لي " سأنصحها بإذن الله يا شيخ " ! :
- 57- بسبب رفضي للجلوس في سيارة إلى جانب امرأة ! :
- 58- زواج سهل جدا :

- 59- امرأة ساقطة تندم على فوات الزواج ولا تندم على ارتكاب الفاحشة :
- 60- معالجة الأمر بضده :
- 61- عن غض البصر عن النظر الحرام إلى المرأة :
- 62- نصفُ حجاب خير من لا شيء :
- 63- طولُ لسان بنت عمرها 5 سنوات ! :
- 64- يا ليت كل زوجين يحرصان على هذا كل الحرص ! :
- 65- نغير السقف أفضل أم نغير العين !؟ :
- 66- رفضتها في القسم بسبب لباسها الفاضح ! :
- 67- لا بد أن تبحث عن السبب غير المباشر ! :
- 68- حتى اليهودية , مطلوب منك أن تدافع عنها ضد من يريد الاعتداء على شرفها :
- 69- امدح المرأة ولكن باعتدال ! :
- 70- كم هذا الذي حدث بشع جدا (زنا المحارم) ! :
- 71- من أمثلة المرضى الشواذ :
- 72- أراد أن ينتقم مني لأنني أخبرته بأنه عاجز :
- 73- أنا لا أدري لماذا يصر بعض الناس على العقلية الأحادية !؟ :

ثم بسم الله مرة ثانية

1 - أحسن ليلة في حياتي :

هي الليلة التي تزوجت فيها عشية يوم 12 / 7 / 1984 م .
 كنتُ منذ الصغر أحلم باليوم الذي أتزوج فيه لأحقق نصف ديني , وأسأل الله أن يعينني على
 النصف الآخر . وكنتُ منذ الصغر أحلم باليوم الذي أتزوج فيه لأبدأ زواجي من أول يوم
 بالحلال . وكنتُ كذلك أحلم منذ الصغر باليوم الذي أتزوج فيه , لأخدم زوجتي وأحسن إليها
 أكثر مما تخدمني وأكثر مما تحسن إلي .

وتم لي هذا الأمر والحمد لله عشية يوم الخميس 12 جويلية 1984 م وليلة الجمعة 13 جويلية 1984 م , حين تزوجتُ من خلال عرس مبني على الحلال من أول خطوة فيه إلى آخر خطوة . تم حفل الزفاف كما أحببتُ أنا لا كما يحب أهلي ولا كما تحب النساء من أهلي . استشرت الجميع , ولكن الكلمة الأخيرة كانت لي في كل شيء والحمد لله .

تم الزواج بعيدا عن محرمات وبدع الأعراس . وتم الزواج كذلك بعيدا عن الإسراف والتبذير , وبعيدا عن الإختلاط المحرم بين النساء والرجال , وبعيدا عن الغناء الذي لا يجوز و... ومع ذلك فرح الناس أيما فرح بما يتفق مع مناسبة العرس . فرحوا وسهروا ليتفرجوا على حفل استمر من ال 10 ليلا وحتى الواحدة صباحا , عُرضت فيه مسرحية هادفة عن الأعراس , وسكاتشان مضحكان وهادفان , ودرس ديني له صلة بالزواج والأعراس والأفراح في الإسلام , و5 أو 6 أناشيد دينية عن الزواج والأعراس وعن الحياة الإسلامية بشكل عام , واستعراض "كاراتيه" رائع جدا , و... قُدم الكلُّ من طرف فرق من الشباب المسلم المتدين من أهل بلدة زوجتي (ميله) ومن أهل بلدتي أنا (سكيكدة) جازاهم الله خيرا .

فرح الناس في تلك الليلة من خلال حفل حضره أغلب أهل القرية التي أسكنُ فيها- من دُعي للعشاء ومن لم يُدع - . وما زال الكثيرُ من الناس - في مسقط رأسي - إلى اليوم يقولون عندما يسمعون أحدا يتحدث عن حفلات الأعراس الإسلامية " من كان محتفلا بزواجه فليحتفل كما فعل عبدُ الحميد عام 1984 م , وإلا بلاش " , والحمد لله رب العالمين .

هذه هي قصة زواجي باختصار . وليلةُ زواجي كانت هي أحسنُ ليلة في حياتي مع ليلة أخرى أذكرها لاحقا بإذن الله تعالى .

أحسنُ يوم في حياتي هو اليوم الذي حفظتُ فيه القرآن , وأحسنُ ليلة في حياتي هي الليلة التي تزوجتُ فيها . وبعضُ الجهلة يقولون " لماذا الجمعُ بين القرآن والزواج ؟! " , وكان القرآن طيبٌ والزواجُ خبيثٌ أو كأن القرآنَ دينٌ والزواجُ دنيا , والحقيقةُ أن القرآنَ وحفظه دينٌ , والزواجُ دينٌ كذلك , وهما مكملان لبعضهما البعض بإذن الله تبارك وتعالى .

2- بسبب رفضي لمصافحة امرأة أجنبية :

ملاحظة : اختلف الفقهاء في حكم مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية بين مبيح ومحرم , ولكل أدلته القوية أو الضعيفة , الراجحة أو المرجوحة .

عملتُ منذ 1978 م في التعليم بثانوية ديدوش مراد (الجزائر) التي لم أكن أعرفها ولم أكن أسمع بها إلا من خلال فريقها لكرة القدم , حين أسمع محبي كرة القدم يذكرون فريق أولمبي ميله . وأنا متزوج من مدينة ميله منذ 1984 م , مع أن أهلي من مدينة القل , ولاية سكيكدة .

وأنا - بسبب عملي وزواجي - أسكن بمدينة ميله مع زوجتي وأولادي من زمان وحتى اليوم . والله يجعل - عادة - لكل شيء سببا , وسبب كوني بدأتُ التعليم (ثم الزواج والسكن) بمدينة ميله , لا بمدينة سكيكدة أو القل , قلتُ : السببُ هو رفضي لمصافحة أستاذة .

سمعتُ بعد تخرجي من جامعة قسنطينة مباشرة (بليسانس كيمياء) , بأن التلاميذ بثانوية

بمدينة القل ينتظرون أستاذا في العلوم الفيزيائية , أي أن هناك منصبا شاغرا يجب أن يُملأ . دخلت الثانوية وتوجهت إلى قاعة الأساتذة , حيث وجدت مجموعة من الأساتذة - ومعهم أستاذة - هناك . قاموا لاستقبالي ومدوا أيديهم للمصافحة . صافحتهم وتمنيت لو أن الأستاذة تكتفي بالترحيب بي من بعيد بدون أن تمدّ يدها إلي للمصافحة . لكن الذي تمنيتُه ما وقع . وقفت الأستاذة واتجهت نحوي لتصافحني . مدت يدها نحوي فأعطيتهُ ظهري . تحولت إلى أمامي ومدت يدها ثانية , فاضطرت لمصارحتها " أعتذر يا أستاذة لأنني لا أصافح النساء". احمر وجهها ثم اصفر ثم واتجهت من فورها إلى مكتب السيد مدير الثانوية لتخبره كذبا " هذا أستاذ خوانجي (نسبة إلى الإخوان المسلمين , أي متدين) يريد التدريس , فرجاء يا سيدي المدير لا تقبله مدرسا في ثانويتنا " !!! . ثم خرجت . دخلت بعدها عند السيد المدير طالبا قبولي كمدرس للعلوم الفيزيائية بالثانوية فرفض وكان الثانوية ملكه الخاص . رفض بسبب وشاية الأستاذة التي غضبت غضبا شديدا , لأنني لم أصافحها واعتبرتني أهنتها أمام زملائها , فإنا لله وإنا إليه راجعون , والله في خلقه شؤون . نسأل الله لي ولها ولجميع المسلمين والمسلمات المغفرة والرحمة , آمين .

3- رسول الله أعطى النساء نصف الدين وبقي لهن النصف الآخر :

ناقشي رجل في يوم من الأيام في حقوق المرأة وقال كلاما غريبا جدا . قال بأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أعطى المرأة 50 % من حقوقها , واليوم (القرن ال 21) أن الأوان أن نعطي المرأة ال 50 % من حقوقها المتبقية . قلت له " وما هي الحقوق المتبقية لها؟! " قال " أن الأوان أن نسمح للمرأة أن تخرج من البيت بلا إذن من الرجل , وأن تختلط بالرجال كما تشاء , وأن تشارك في كل الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية و ... بدون أي تفريق بينها وبين الرجل , وأن تتخلى عن وجوب لبس الحجاب , وأن تتخلص من قوامة الرجل عليها , وأن تتساوى في الميراث مع الرجل , وأن لا تقبل بأن يعطيها الرجل مهرا ليحل لنفسه الاستمتاع بها و ...".

وطبعا ناقشتُ الأستاذ وبينتُ خطأ أفكاره وبعدها الكبير عن الصواب . ولكن الشاهد في هذه الحكاية هو أن الرجل قال لي في نهاية النقاش ثلاث كلمات كافية ووافية يعترف من خلالها بطريقة غير مباشرة بأنه أناني مع المرأة وبأنه متناقض فيما يؤمن به :

- 1- قال لي : أنا يا أستاذ أقول بين الحين والآخر لأصدقائي " أنا يمكن في يوم من الأيام أن أصبح متدينا مثل " رميته " , ولكن الأستاذ رميته لا يمكن أن يتحول ليصبح متحررا مثلي!!".
- 2- قال لي : يا أستاذ إن زوجتي وبناتي يقلن لي في بعض الأحيان " إن الكثير من كلامك مناقض لما يعرفه أغلب الناس عن الإسلام!".

3- قال لي : " أنا أحب لسائر النساء التحرر , ولكنني – بصراحة - لا أقبل لزوجتي وبناتي إلا الأحكام التي تذكر أنت يا أستاذ على أنها من واجبات المرأة المسلمة . أنا لا أحب مثلاً لزوجتي وبناتي أن يخرجن من البيت متبرجات , ولا أن يخرجن بدون إذني , ولا أحب أن يختلطن - بدون ضرورة - مع الرجال , ولا أحب أن تُطلب ابنتي للزواج بدون مهر, ولا ... ولا ...!!!". ولا أعلق على هذه الكلمات الثلاثة لأنها غنية عن أي تعليق. انتهى النقاش . وسبحان الله كم هم جاهلون بعض الرجال , وكم هم متناقضون وكم هم أنانيون ؟!!!.

4- الأنثى خير:

"البنات هبةٌ من الله تعالى , هبةٌ مقدمة على الذكور ".....عثمان الخشب , والدليل قوله تعالى " يهبُ لمن يشاء إناثاً ويهبُ لمن يشاء الذكورَ". هذا صحيح بإذن الله حتى لو قال المجتمعُ خلافَ ذلك وتشاءم من الإناث واعتبرهن مخلوقات من طينة أخط من طينة الذكور . والغريبُ هنا أن المرأة في كثير من الأحيان تُفضل الذكرَ على الأنثى لا لشيء إلا لأن المجتمع البعيد عن الدين قال هكذا ! .

عندما كانت زوجتي حاملاً بالمولود الأول عام 1985 م , كانت تقول لي : " أسأل الله أن يجعله ذكراً " , وكنت أقولُ لها : " في كلِّ خير , ولكنني أتمنى أن يكون المولود أنثى " (لأنه جاء في بعض الآثار أن من علامات يُمن المرأة أن يكون أول مولود لها أنثى) . وبحمد الله كان المولود أنثى (أسميتها آسيا) . سألني أحدهم بعد ذلك بيوم أو يومين , وكان داعية من الدعاة إلى الله " المولود يا شيخ عبد الحميد أنثى أم ذكر ؟!" قلت " أنثى " , فرد علي وكأنه يُصبرني على مصيبة نزلت بي " الخيرُ فيما أعطى الله يا عبد الحميد ! " , فقلتُ له " لو لم أكن أعرفك يا فلان لقلتُ لك كلمة قاسية تؤلمك . أنا يا فلان فرحٌ ومعتز لأن الله وهبني أولَ ما وهبني أنثى . أنا أحمدُ الله ثم أحمدُه على ذلك . إذن لا داعي لأن تأتي أنت فتُصبرني وتكاد تقول لي "عظّم الله أجرَكَ يا فيما نزل بك ! " .

5 - هل تقبل أن ترقص زوجتك أمام الرجال ؟! :

أنكرتُ منذ حوالي 1985 م على إدارة مؤسسة من المؤسسات التعليمية إدراج رقص التلميذات أمام الرجال في حفل قدمته بمناسبة 16 أبريل أو يوم العلم الذي يصادف وفاة العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى , وقلتُ لإدارة المؤسسة وللأساتذة " لا يمكن أن أحضر حفلاً ترقص فيه بنات أماننا نحن الرجال . هذا حرام " , فقال لي أحد الأساتذة عندئذ " يا أستاذ وماذا في ذلك . لا تتشدد يا رجل " !!! قلت له " أنا لست هنا بصدد تقديم الأدلة الشرعية على حرمة هذا الفعل لأن الأمر بديهي إلى حد كبير , ولكنني أسألك سؤالاً صريحاً وأريد عليه جواباً صريحاً . هل تقبل أن ترقص زوجتك أمامنا نحن أساتذة وإدارة وتلاميذ الثانوية في أية مناسبة كانت ؟!" , فأجابني بجواب مخالف لما يجيب به أغلبية الرجال

المسلمين في الدنيا كلها . قال لي " لا مانع عندي أبدا إذا قبلت هي وكانت ترقص بشكل جيد !!!". قلتُ له عندئذ " نقطة , انتهى حديثنا " , لأنني رأيت بأنه لا فائدة من مواصلة الحديث والحوار مع شخص بلغت عنده قلة الحياء هذا الحد المخيف .

6 - قابلي -أختي المسلمة - السيئة بحسنة :

اعلمي- أيتها الزوجة - أن العظمة ليست بالادعاء , وإنما بالفعل وبالعمل وبالجهد وبالتطبيق . فإذا أساء إليك أحد الناس وظلمك بالسب والشتم والضرب والحبس والكذب والافتراء عليك و.. خلال زمن طويل ثم تمكنت منه في يوم من الأيام وقدرت على مقابلة سيئته بسيئة منك أو على معاقبته العقوبة الحلال في الدين , ولكنك لم تفعلي بل عفوت وتسامحت , وربما قابلت السيئة بالحسنة , فهذا من أعظم الأدلة على عظمتك عند الله ثم عند الناس .

أما إذا قابلت سيئة حقيقية بسيئة مثلها فقد فعلت الجائر وكفى , وهذا لا يرفع من قيمتك ولا يحطُّ منها لا عند الله ولا عند الناس . أما إذا أنشأت من لا شيء شيئا مهولا , وضخمت ما كان تافها , وأسأت الظن و...وقلت :

* "ما زارتنى , إذن لن أزورها " * " ما باركت لي , إذن لن أبارك لها " . " ما أعطتني , إذن لن أعطيها " .

* "مرت بي فلم تكلمني , إذن لن أكلمها " . " اتصلت بفلانة ولم تتصل بي , إذن لن أتصل بها " أو ...

ثم بنيت على ذلك مواقف معادية وقاطعت المرأة الأخرى وأهلها وحرّشت زوجها وأولادها وإخوتها وأخواتها ليقاطعوها وأهلها كذلك . إذا فعلت كل ذلك فإنك تفعلين ما من شأنه أن يحط من قيمتك عند الله وعند الناس , ولن تكوني بهذا الفعل وبهذا العمل عظيمة ولا شبه عظيمة ولا فيك رائحة أدب وأخلاق ودين ولو ادعيت أنت غير ذلك .

والمثال على كل ذلك المرأة التي قالت - منذ سنوات وسنوات , في جهة معينة من جهات الجزائر - عن أخت زوجها : " لقد أعطت الأكلة لغيري - في مناسبة فرح معينة - ولم تعطني شيئا " , ثم قاطعتها بناء على هذه الحادثة , وقاطع زوجها أخته وقاطع الأولاد عمّتهم , وعادى الجميع المرأة وأهلها . والغريب أن المرأة عندما لامها من لامها قالت : "إذا سكّتها عنها بعد أن حرمتني من ... , فإنني أكون قد أدللت نفسي لها , وهذا ما لا أقبله ! " . والزوج عندما علمت بخبره ذهب إلى ناصحا وموجّها ومُعينا له على الشيطان , وطلبت منه أن يزور أخته حتما وعن قريب , حتى لا يلقي الله وهو قاطع للرحم التي أمر الله أن توصل . والعجيب في الأمر أنه رد علي " أمن أجل هذا الأمر اتصلت بي؟! " , وأضاف " هذا الأمر الذي

تكلمني فيه يا عبد الحميد أمر بسيط لا يجوز أن نهتم به!". وشرُّ البلية ما يُضحكُ كما يقولون , سواء من كلام الزوجة أنفاً أو من كلام الزوج الأخير . نسأل الله الهداية والعصمة من مثل هذا العوج الموجود عند البعض من نساءنا , ومن مثل هذا العوج الموجود عند البعض من رجالنا الذين يذوبون في زوجاتهم بحيث لا تبقى لهم أية شخصية , وتصبح زوجاتهم كلَّ شيء أما هم فيبقون مساويين للشيء للأسف الشديد .

7 - بين ضعف الإيمان والجهل بالإسلام :

1- السبب في إعراض الناس عموماً عن تطبيق الإسلام على أنفسهم ثم دعوة غيرهم إليه هو أحياناً الجهل بالإسلام , ولكنه ليس دوماً السبب الوحيد . إن السبب في أحيان كثيرة أخرى هو ضعف الإيمان , ومعنى ذلك أن المسلم أحياناً يعرفُ حق المعرفة بأن كذا مستحب أو واجب ومع ذلك هو لا يفعله , كما يعلمُ بأن كذا مكروه أو حرام ومع ذلك هو يقترُفه . ما السبب يا ترى ؟ إنه ضعف اليقين بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام , وكذا قلة الإيمان بالله واليوم الآخر.

2- ثم الناس بشكل عام يحترمون كلمة الحق وصاحبها حتى ولو لم يطبقوها على أنفسهم .

3- ثم الناس يُقدِّرون المستقيم مع الله وصاحب المبدأ , حتى ولو غلبتهم أنفسهم ولم يطبقوا ما يقول .

وفي المقابل الناس لا يحترمون من لا مبدأ له , ولو كان حريصاً على إرضائهم على حساب الشرع .

ثم أقول : كنت لسنوات وسنوات في ثانوية (س) , في ولاية (ع) أتحدثُ مع أغلبية الأستاذات في قاعة الأستاذة لمدة 5 أو 10 دقائق عن بعض الأحكام الإسلامية التي تهم المرأة المسلمة . كنتُ أفعل ذلك بين الحين والآخر .

وفي يوم من الأيام جرت مناقشة معينة بين بعض الأستاذة من جهة , وسائر الأستاذات (وخاصة منهن أستاذة طيبة سلوكاً , ولكنها متفتحة ومتحررة و...) من جهة أخرى .

المناقشة جرت في غيابي , وكان بعض الأستاذة يقولون في الدين بلا علم , من أجل إرضاء الأستاذة وكسب إعجابها ولو بقول ما لا يصح . اعترضتُ أغلبية الأستاذات الحاضرات على ما قال هذا البعض من الأستاذة وقلن لهم " لكنَّ الأستاذ رميته يقول باستمرار خلاف ما تقولون أنتم !". وعندئذ دخلتُ أنا إلى قاعة الأستاذة بدون أن أعلمَ بما دار في المناقشة . طرحتُ الأستاذات والأستاذة عندئذ السؤال الآتي على زميلتهم " مع من أنتِ يا أستاذة

فيما يتعلق بالأحكام والمسائل التي ذكرت قبل قليل . هل أنت مع الأستاذ رميته أم مع فلان وفلان وفلان وفلان؟". ابتسمت الأستاذة (وكأنها تعتذر بلطف للأستاذة ...) وقالت بدون تردد : " أنا مع الأستاذ رميته وما يقول , حتى وإن لم أطبق كلامه حاليا . إنه صادق , حتى وإن لم يوافقني ولم يجاملني ولم يجارني فيما أحب . أنا لم أطبق البعض من كلامه حتى الآن لا لأن كلامه باطل ولكن لأن نفسي ما زالت تغلبنى غالبا "! . وأترك كلمة الأستاذة بلا تعليق .

8 - التجربة مهمة جدا إلى جانب العلم بالإسلام :

العلم بالإسلام مهم جدا , ولكنه وحده ليس كافيا كما قلت من قبل , إذ لا بد للمسلم من إيمان قوي إلى جانب العلم الغزير بالإسلام ليعبد المسلم الله كما يحب الله ولينال رضا الله وليسعد في الدنيا قبل الآخرة. وإلى جانب أهمية العلم بالإسلام لا بد للمسلم من قدر لا بأس به من التجربة يستفيد منها في دينه ودنياه , سواء كانت التجربة تجربته هو أو كانت تجارب الآخرين .

تمت مناقشة , بين أستاذ بالثانوي , وطالب متخرج من الجامعة الإسلامية. اختلف الشخصان في مسألة لها علاقة بتحديد النسل وتنظيمه . كان المتخرج من الجامعة الإسلامية شابا عمره حوالي 27 سنة , غير متزوج . وأما الأستاذ فعمره حوالي 45 سنة , متزوج وله أولاد . الشخصان أعرفهما ويعرفاني جيدا , وأعرف بأن المعلومات الدينية النظرية عند المتخرج من الجامعة أكبر وأكثر , ولكن التجربة عند الأستاذ أعظم وأوفر زيادة على رصيده المتواضع من الثقافة الإسلامية . عندما وصلتُ عندهما سلما علي وحكماني فيما بينهما . وقبل أن أسمع منهما قلت لهما " ما دمتُ أعرف الموضوع أنا أكاد أجزم أنني أعرف المصيب والمخطئ قبل أن أعرف رأي كل منكما . أنا أكاد أجزم بأن الصواب عند الأستاذ والخطأ عند الطالب المتخرج حديثا " . ومع ذلك لا أجزم إلا بعد السماع من الطرفين . سمعتُ الرأيين وأكدتُ على ما توقعته من قبل . أكدتُ على أن الأستاذ هو المصيب أو الأقرب إلى الصواب , وهو الذي مال إلى الأخذ ببعض الأقوال التي تجيز للزوجين أن ينظما نسلهما (والتنظيم شيء والتحديد شيء آخر) بشروط معينة . وأما الطالب المتخرج حديثا فقلت له "معلوماتك يغلبُ عليها الطابع النظري وتنقصك الكثير من المعرفة بالواقع , وأنت الذي ملت إلى التشدد وإلى أن كل تنظيم للنسل حرام مهما كان " . وضحتُ لهما لماذا أصاب أحدهما وأخطأ الآخر , والحمد لله .

9 - حب التلميذة الكبير لأستاذها :

علاقتي كانت طيبة مع التلميذات اللواتي درسن أو تدرسن عندي . العلاقة طيبة أحيانا إلى درجة المبالغة التي لا أريدها . لا أريدها حتى يبقى حُبهن لي مبصر لا أعمى . والفرق بين الحب المبصر والأعمى هو أنني مع الحب المبصر أبقى أظهرُ أمامهن بحسناتي وسيئاتي , وأما مع الحب الأعمى فإن الحسنات فقط تظهرُ وتختفي السيئات أمام عيني المحب , وفي هذا

من الشر ما فيه . وكمثال على حبهن أذكر مثالا وقع لي في يوم من الأيام بالثانوية التي أدرس بها . خصصتُ للتلاميذ كعادتي في نهاية كل سنة دراسية حصة من ساعتين إضافيتين لتقديم نصائح وتوجيهات عامة متعلقة بالتحضير للكالوريا ثم للدراسة في الجامعة بعد ذلك وللحياة المستقبلية داخل البيت أو خارجه . وطلبتُ السماح من التلاميذ ونصحتُهم بالتسامح فيما بينهم وألححتُ عليهم أن يبقى الدعاء لبعضنا البعض بالخير عن ظهر الغيب , مهما ابتعدت الأجسادُ عن بعضها البعض .

وعندما خرجتُ من القسم في نهاية الحصة وجدتُ تلميذة في انتظاري (مع زميلتها) أمام باب القسم . والتلميذة هي أحسنُ تلميذة في قسمها أدبا واجتهادا , وهي من الأوائل في الثانوية كلها . سألتها "خيرٌ إن شاء الله يا..!؟" فقالت لي متحاشية النظر إلي " يا أستاذ إذا لم أنجح في امتحان البكالوريا , فإنني سأفرحُ أكثر مما أفرحُ لو نجحتُ "!!! . وسكتتُ . وفهمتُ في الحين قصدَها . قلتُ لها " لا تقولي هكذا يا... هذه هي الحياة " و " لكل بداية نهاية " و "يا محمد أحببُ من شئتُ فإنك مفارقه "..." و" يبقى الدعاء بيننا بالخير وعن ظهر الغيب , يبقى باستمرار بإذن الله " و " ستجدين بإذن الله في الجامعة وفي كل مكان من هو خير مني بكثير " . ولعلمكم فهمتم ماذا كان قصدُ التلميذة من وراء كلمتها السابقة . إنها تحبُّ أستاذَها , ولا تريد أن تفارقه بل تريدُ أن تعيد السنةَ حتى تدرسَ عنده مرة ثانية ... والحمد لله رب العالمين وحده على ما منَّ وتفضلَّ وتكرَّم .

10- فسد تلاميذنا وفسدت تلميذاتنا كذلك :

أذكر هنا قصة طريفة وقعت أمامي أثناء حراسة امتحانات البكالوريا (حوالي جوان ...) في مؤسسة من المؤسسات التعليمية , حيث كنت عضوا في الأمانة مع السيد رئيس المركز . ضُبطت تلميذة من التلميذات المحجبات (ساعدها حجابها على الغش للأسف الشديد) وهي تغش مستعملة دروسا صوتية مسجلة عبر الهاتف الجوال ومتعلقة بمادة من المواد ... كما ضبطت معها مجموعة كبيرة من الأوراق التي أتت بها جاهزة من بيتها . وعندما أخذها السيد رئيس المركز إلى حيث مقر أمانة المركز وحاولت أنا وإياه معها من أجل كتابة اعتراف بالغش لتطرد من المركز ... طلبت التلميذة من السيد رئيس المركز فجأة طلبا غريبا وهو " يا سيدي أخرج من فضلك الأستاذ من القاعة لأن عندي كلاما خاصا أريد أن أقوله لك أنت فقط ووحدهك "!!! . قال لها السيد رئيس المركز متعجبا وغازبا " هذا هو الأستاذ رميته أستاذ العلوم الفيزيائية بثانوية عبد الحفيظ بوالصوف " , قالت " أنا أعلم يا سيدي , هو أستاذي الذي درست عنده من قبل ... ولكنني لا أريده أن يسمع ما أكلمك به " .

أجابها السيد رئيس المركز بلهجة حازمة وجادة " أنا يا هذه لستُ أبالك ولا عمك ولا خالك ولا ... حتى تكلميني كلاما خاصا ... ستكتبين الاعتراف بالغش أو لا تكتبين , نحن سنكتب بك

الآن تقريراً بالغش , حتى يكون ذلك عبرة لك ولغيرك , خاصة وأن هذه المحاولة بالغش منك ليست الأولى , وقد تم تحذيرك من الغش في أكثر من مرة فلم تستفيدي من التنبيه والتحذير ... وأما الأستاذ رميته فلن يخرج من هنا الآن . ما أسمعُه أنا منك من حقه أن يسمعه هو بلا أي فرق بيني وبينه " .

وبعد كتابة التقرير بالتلميذة وطردها من المركز , قال لي السيد رئيس المركز " ما قالتها التلميذة جعلني أشك في أمر سيئ كانت تريد أن تقوله لي , خاصة أنها على قدر من الجمال وأنها تلميذة ضعيفة في دراستها وكسولة , كما أنها تعنتي بمظهرها أكثر مما يلزم . " ... **ولا داعي لأن أوضح لأن القارئ الكريم يمكن أن يفهم المقصود هنا بسهولة.**

وللأسف هبط مستوى التلاميذ في السنوات الأخيرة هبوطاً هائلاً , سواء على مستوى التربية أو التعليم , وسواء على مستوى التلاميذ أو التلميذات ... وحتى أستاذ هذه الأيام لم يبق كأستاذ أيام زمان , وكذلك ولي التلميذ والإداري والمساعد التربوي و...
فإننا لله وإنا إليه راجعون.
اللهم أصلحنا وأصلح أحوال التربية والتعليم في بلادنا , آمين .

11 - قمة الجهل والجرأة على الله والبعد عن الحياء :

عندما كنتُ أُدرِّسُ في ثانوية ... , وفي الوقت الذي كنتُ فيه أعزبا , كنتُ أبيتُ أنا وبعض الأساتذة العزاب في حجرة معينة خصصتها لنا إدارة الثانوية مشكورة . وكان الطريقُ الموصلُ إلى هذه الحجرة يمر على ساحة الثانوية ثم على ساحة ثانية للثانوية مخصصة لرياضة التلاميذ والتلميذات (في ثانوية مختلطة) . ورياضة البنات في ذلك الوقت كانت أسوأ مما هي عليه اليوم , لأنها كانت تتم – إجبارياً- بسرّوال قصير جداً يكشف أكثر مما يستر (short) , فضلاً عن أن هذه الرياضة كانت تتم بشكل عادي وإجباري مع التلاميذ الذكور وأمام الذكور من غير التلاميذ (الذين يتفرجون على الإناث من فوق حائط الثانوية !) . ولكن كان هناك طريق صغير وضيق يمكن أن يمر عليه الشخصُ ليصل إلى حجرة الأساتذة العزاب بدون أن يمر على ساحة الرياضة . كنتُ حريصاً كل الحرص على أن أتجنب المرور بجانب التلميذات وهن يمارسن الرياضة حتى لا أرى ما لا يجوز لي رؤيته من عوراتهن . وفي يوم من الأيام كنتُ ماراً إلى حجرتنا بالثانوية من خلال الطريق الخاص , وبعيداً عن أستاذة الرياضة وتلميذاتها . وعندئذ رأيتي الأستاذة من بعيد , فنادت تلميذاتها وصرخت فيهم وهي تقهقه " تعالين وانظرن إلى الأستاذ رميته , كيف أنه يستحي أن يمر بجانبك حتى لا يراكن !. أنظرن إليه كيف يستحي من بناته !. أنظرن إليه كيف يستحي مما لا يستحي منه الرجال عادة !. أنظرن إليه يا بنات !", ثم تضيف ضاحكة وساخرة مني "مسكين إنه يستحي منكّن ولا يريد أن يرى جمالكن !".

وأنا أترك الكلمة بدون أي تعليق , لأنها غنية عن أي تعليق .

12- إنه الشيطان لعنه الله :

أذكر أنني عندما كنتُ تلميذا في الثانوية وكان عمري حوالي 17 سنة , وكنتُ أدرس في ثانوية لا يصلي فيها إلا بضع تلاميذ (أقل من 10 تلاميذ) , وكنتُ داخليا . وليس في الداخلية حمام بل هناك فقط مراحيض – أكرمكم الله – وقاعة كبيرة وواسعة يستعملها التلاميذ الداخليون للغسل في الصباح وقبل النوم مساء وللوضوء الأصغر (بالنسبة لمن يصلي) . ولقد كنتُ متكاسلا أحيانا في أداء الصلاة (التي بدأتها وعمري حوالي 8 سنوات) في وقتها , ولكنني عندما وصلتُ إلى الثانوية أصبحت مواظبا على أدائها في الوقت غالبا والحمد لله . وكنت في الثانوية محافظا بشكل عام على أداء كل الصلوات في وقتها , بما فيها صلاة الصبح . ومن أجل أداء صلاة الصبح في الوقت كنتُ أستيقظ في بداية الوقت الاختياري للصبح وأتوضأ خفية , حتى لا يلاحظ المراقبون علي ذلك فيمنعوني لأنهم يعتبرون صلاة الصبح في وقتها مخالفة للنظام الداخلي للثانوية , ويمكن أن تكون سببا في إيقاف سائر التلاميذ الداخليين (!) .

والذي كان يقلقني في صلاة الصبح في وقتها :

أ- ليس هو أدائها في وقتها بوضوء أصغر لأن هذا أمر عادي تماما .

ب- وليس هو كذلك أدائها بوضوء أكبر , لأن هذا أمر شبه عادي . لماذا شبه عادي؟! هو " شبه عادي" لأنني أغتسل مضطرا إما في المراحيض – أكرمكم الله - الضيق حيث في هذا النوع من الاغتسال نوع من الحرج , وإما في القاعة التي يغسلُ فيها التلاميذ وجوههم ويتوضؤون فيها الوضوء الأصغر (lavabo) , وهي قاعة واسعة ومكشوفة أغتسلُ فيها من الجنابة – قبيل صلاة الصبح - ويدي على قلبي خوفا من أن يدخلَ علي أحدٌ فيجذني شبه عار , فضلا عن العقوبة التي يمكن أن تسلط علي لو رأني أحد المراقبين (أو المستشارين التربويين) أغتسل!!! .

قلتُ : الذي كان يُقلقني في صلاة الصبح ليس هذا ولا ذلك , وإنما الذي كان يقلقني هو فترة معينة كانت تقارب الشهر (30 يوما) كنتُ أحتلمُ فيها في كل ليلة وأغتسل فيها صبيحة كل يوم قبل الصبح بإحدى الطريقتين المحرجتين . وخطر لي في ذلك الوقت وبسبب مشكلة الغسل في كل يوم , خطر لي خاطرٌ شيطاني أن أترك الصلاة كلية , ولكن عقلي الصغير في ذلك الوقت وثقاقتي الدينية وإيماني المتواضع , كل ذلك عصمني ومنعني من ذلك [والحمد لله أولا وأخيرا] , وقال لي [يا عبد الحميد إن الشيطان هو من وراء الاحتلام في كل ليلة , إن هدفه هو تركك

للصلاة , فلا تقع في فحه يا عبد الحميد , ولا تتركه ينتصر عليك . يا عبد الحميد إنه الشيطان لعنه الله , ولا تنس أن "كيد الشيطان كان ضعيفا" .

ولذلك أصررتُ على الاغتسال في كل يوم وعلى صلاة الصبح في وقتها في كل يوم وعلى المحافظة على الصلوات كلها في وقتها , وسألتُ الله أن يكون معي وأن يخفف عني . استمر الأمرُ علي حوالي شهر ثم فرَّج الله عني ورجعتُ إلى حالتي الطبيعية العادية .

وتعلمتُ من ضمن ما تعلمتُ في ذلك الوقت من تلك التجربة البسيطة جملة مسائل منها :

1- أن من طلب الأجرَ من الله لا بد أن يدفع الثمنَ " ألا إن سلعة الله غالية . ألا إن

سلعة الله : الجنة " . ولا أجر – عموماً – بدون جهد بدني أو نفسي أو روعي أو أدبي أو أخلاقي أو...

2- أن اللذة التي يجدها المرء في الطاعة أعظم بكثير من التي يمكن أن يجدها في

المعصية .

3- أن المتعة التي يجدها المرء في بذل الجهد أعظم بكثير من التي يمكن أن يجدها

في التكاثر والتهاون .

4- أن "من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب" .

13- ما معنى الخلو المحرمة بين الرجل والمرأة ؟ :

هناك جهل قد يكون مقبولاً ومستساغاً عرفاً وعادة , وهناك جهل آخر ليس مستساغاً ولا مقبولاً , على الأقل في نظري بغض النظر عن كون الشخص معذور أو غير معذور من الناحية الشرعية . ومن أمثلة ذلك :

تعودتُ من سنوات وسنوات على أن أجري مسابقة لتلاميذي في الثانوية في نهاية كل سنة دراسية أو في نهاية كل ثلاثي , من خلال حصة إضافية . المسابقة أجريها بين تلميذ وتلميذة , وأطرحُ فيها على كل تلميذ من التلميذين 3 أسئلة : في الثقافة العامة , وفي العلوم الفيزيائية , وفي العلوم الإسلامية . وأثناء المسابقة وفي نهايتها أعلقُ على الأسئلة والأجوبة وأنصحُ وأوجه وأستخلص الدروس والعبر و... ثم أعلنُ عن الفائز الذي أهنته وعن الخاسر الذي أشجعهُ على بذل جهد أكبر في المستقبل , ليكون هو بإذن الله الفائز في مسابقة أخرى لاحقة .

وفي مسابقة من المسابقات طرحتُ سؤالاً في العلوم الشرعية على تلميذة من التلميذات : " ما المقصود بالخلوة شرعاً ؟ وما حكمها ؟ " . وفوجئتُ بجواب التلميذة البعيد حداً عن الصواب , والذي له صلة وثيقة بالأحكام الإسلامية التي يجب أن تعرفها التلميذة خاصة وأنها مسلمة

بالغة , وهي كذلك تلميذة تدرسُ في مؤسسة مختلطة – للأسف الشديد-. أجابت التلميذة " الخلوة هي الزنا " وهي حرام "!!!".

فوجئتُ ولم أستسغ ولم أقبل - على الأقل بيني وبين نفسي- أن تجهل التلميذة إلى هذا الحد .

ولكن هذا هو حالنا للأسف الشديد , والمسؤولية طبعاً لا ترجعُ إلى التلميذة فقط , بل إلى النظام ككل . الكل له مسؤولية وإن تفاوتت درجة هذه المسؤولية . الحكام مسؤولون وكذلك العلماء والدعاة والمربون والأئمة ...

14 - الجمالُ بين الحجاب والتبرج :

أولاً : هل الحجابُ جمالٌ أم قبحٌ أو هل يُجَمَّلُ الحجابُ المرأةُ أم أنه يُفَبِّحُها؟!

إذا قلنا بأنه يُجَمَّلُها , فيمكن لقائل أن يقول " إذن الله أراد أن يفتنَ الرجلَ حينما طلبَ من المرأة أن تتحجبَ عندما تظهَرُ أمام الأجنبي من الرجال"!!.

وإن قلنا بأن الحجابَ يُفَبِّحُ المرأةَ , فيمكن لقائل أن يقول " إذن الله أراد للمرأة التي خلقها تحبُّ فطرة أن تتجملَ , أراد لها خلافَ وعكس ما تريدُ , أي أراد لها الحجابَ الذي يُفَبِّحُها , مع أننا نعرفُ بدهاءة في ديننا بأن الله جميلٌ ويحبُّ الجمالَ"!!.

ثانياً : هل التبرجُ جمالٌ أم قبحٌ أو هل يُجَمَّلُ التبرجُ المرأةُ أم أنه يُفَبِّحُها؟!

إذا قلنا بأنه يُجَمَّلُها , فيمكن لقائل أن يقول " إذن الله أراد الخيرَ للمتبرجة حين جملَها بالتبرج , وأراد غير ذلك للمتحجبة حين طلبَ منها وأوجب عليها الحجابَ"!!.

وإن قلنا بأن التبرجَ يُفَبِّحُ المرأةَ , فيمكن لقائل أن يقول " إذن لماذا يفرضُ الله الحجابَ على المرأة حتى لا تفتنَ الرجلَ بجسدها المكشوف , ما دام كشفُها لجسدها (الذي هو التبرج) هو قُبْحٌ يُفَرِّقُ الرجلَ منها ولا يجذبُه إليها؟!".

والجواب الشافي والكافي الذي يرفع هذين الإشكاليين هو أن كلا من الحجابِ ومن التبرجِ يُجَمَّلُ بوجه من الوجوه وبشكل من الأشكال . أما الحجابُ فيُجَمَّلُ المرأةُ جمالاً يجعل الرجلَ يحترمُها ويُقدِّرها ويعرفُ لها قيمتها الكبرى ومنزلتها العظيمة ومكانتها الجليلة . وأما التبرجُ فيُجَمَّلُ المرأةُ جمالاً يجعلُ الرجلَ يطمعُ في المرأةِ وينظرُ إليها كما ينظرُ الرجلُ إلى زوجته .

والمرأةُ الشريفةُ والعفيفةُ والطاهرةُ والنظيفةُ لا تحبُّ من الرجلِ الأجنبي عنها أن ينظرَ إليها إلا نظرة الاحترام والتقدير , وهي تنالُ ذلك بالحجابِ وبالحجابِ فقط لا بالتبرج . وهي في المقابل لا تحبُّ من رجلٍ أن ينظرَ إليها نظرة طمع فيها وفي جسدها , إلا أن يكون زوجها وزوجها فقط . وهي تنالُ ذلك – أي طمعَ زوجها فيها - بالتبرج والتزين والتكشيف مع زوجها لتكسبَ بذلك رضاه , ولتنالَ قبل ذلك الأجرَ الكبيرَ من الله عزوجل.

وأذكر بالمناسبة أنني سألت مجموعة من الطالبات في حي جامعة من الجامعات حوالي عام 1976 م (في الوقت الذي بدأ فيه الحجاب في الانتشار في الجامعات , وأما الثانويات فالتلميذات ما زلن في ذلك الوقت لا يعرفن الحجاب) , بعدما ذكرتُ لهن بأن التبرج يُجملُ جمالا وبأن الحجاب يُجملُ جمالا آخر . سألتهن "ومن منكن تحبُّ من رجل غير زوجها أن ينظرَ إليها نظرة طمع . من؟! " , فأجابت كلُّ الطالبات بالكلمة أو بالسكوت " نحن نرفضُ ذلك رفضا مطلقا , ولا نقبلُ به أبدا " , إلا واحدة - وكانت تدعي بأنها ملحدة أو شيوعية أو أنها لا تؤمنُ بالله تعالى - , فاجأنتني بقولها " أنا أحبُّ أن يطمعَ في كلِّ الرجالِ الأجانب " !!! , فقلتُ لها " هنا نضع نقطة كبيرة , ويجب أن ننهي الآن حديثنا " , لأنه لا فائدة في أي نقاش مع امرأة مثل هذه , وصدق من قال " إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " . والله أعلم .

15 - هذه أنانية عندكن يا أختنا :

قلتُ في يوم من الأيام لامرأة من أهلي : "من الفروق الموجودة بين الرجل والمرأة , أن المرأة إن زوّجت ابنتها فهي مهما أحبّت زوجة ابنها , يستحيلُ أن تحبّها إلى درجة أن تتمنى لها أن تكونَ خيرا منها هي في أمر من أمور الدين أو الدنيا . هذا مستحيل".

قالت " لا يا عبد الحميد !. هذا كلامٌ لا ينطبقُ إلا على القليلات منا , ولا يجوزُ التعميمُ , وهناك نساءٌ الواحدةُ منهن تحبُّ زوجة ابنها إلى درجة كبيرة , وأنا عندما أزوجُ ابني سأحبُّ زوجته كثيرا بإذن الله , والرجلُ كذلك فيه وفيه و... " .

قلتُ لها "سبحان الله !. لقد كتبتُ ما قلتُ لك في أكثر من منتدى , وكانت ردودُ النساءِ كلّها تقريبا محصورة فيما قلتُ لي أنت الآن !".

قالت " وماذا في ذلك؟! " .

قلتُ لها " الغريبُ عندي هو أن الرجلَ لا يردُّ بهذه الطريقة عندما يُنتقدُ " .

قالت " كيف؟! " .

قلتُ " كتبتُ أنا أكثر من مقال أذكرُ فيه البعضَ من سيئاتِ الرجلِ , وقلتُ فيها من ضمن ما قلتُ :

1- في الـ 10 نساء مات عنهن أزواجهن تجد حوالي واحدة تتزوج بعد ذلك وحوالي 9 نساء يرفضن الزواج من أجل أولادهن . وأما على مستوى الرجال فالعكسُ هو الصحيح في الكثير من الأحيان , أي أن واحدا أو اثنين يرفضان الزواج خوفا من ضياع الأولاد وأما حوالي 8 أزواج فيتزوج الواحد منهم بامرأة ثانية بعد موتِ الزوجة الأولى مباشرة بأسابيع أو

شهور (أو أحيانا بعد أيام فقط) . وهذه حسنةٌ من حسناتِ المرأةِ وهي في المقابل سيئةٌ من سيئاتِ الرجلِ .

2- مما يُحسبُ للمرأةِ لا عليها أن الأطفالَ الذين استطاعوا في هذه الدنيا أن يعيشوا سعداء معنيا بهم وبتربيتهم وتخريجهم على أيدي أمهاتهم بعد موت آبائهم , هم أضعافُ من نالوا هذا الحظ على أيدي آبائهم بعد فقد أمهاتهم . وللرحمةِ الأموميةِ الفضلُ العظيم في ذلك , وهذا مما يجب أن تعترَّ به كل امرأةٍ وتفخرَ به على الرجلِ.

3- الرجلُ بصفةِ عامةٍ أكثرُ عنفا من المرأةِ , وهو يُقدِّمُ في الكثير من الأحيان جمالَ المرأةِ على دينها عندما يُريد الزواجَ , وهو مهما تقدم في السن يبحثُ غالبا عن صغيرة - ولو كانت في سن ابنته - ليتزوج منها , و...".

وأضفتُ " بل إنكِ أنتِ بنفسكِ كتبتِ مقالا نشرته في منتدى من المنتديات في الأيام الماضية وقلت فيه :

"الرجلُ الذي تكرهه جميعُ النساءِ : البصباص , الشكاك , الغيور , المزواج , البخيل , المنان , ضعيف الشخصية , غير الجدير بالمسؤولية , خائن العهد , الخبيث , المنافق , النمام , المغتاب , الناعم , المترف , المهمل".

قلتُ لها : " وكانت ردودُ الرجالِ على ما كتبتُ أنا من نقدٍ للرجالِ , وكذا ردي أنا على ما كتبتِ أنتِ من نقدٍ للرجالِ , وكذا ردودُ الرجالِ على ما كتبتِ أنتِ من نقدٍ لنا ... كانت كلُّ ردودُ الرجالِ بلا استثناء هي كالاتي :

" نسأل الله الهدايةَ لهؤلاء الرجالِ , نسأل الله الهدايةَ لنا ولهؤلاء الرجالِ , نعوذ بالله من هذا النوع من الرجالِ , نسأل الله أن لا يجعلنا من هؤلاء , نسأل الله أن يُبعدَ نساءنا عن هذا النوع من الرجالِ , ... " , أو ما يشبه هذا الرد .

ولم يدافعَ واحدٌ منا عن الرجالِ , ولم يقلَ واحدٌ منا بأن هذا النقدُ للرجلِ فيه تعميمٌ , وبأنه ليس كلُّ الرجالِ من هذا النوع , وبأنه هوَ ليس من هذا النوع من الرجالِ , وبأن ... لم يقلَ أيُّ رجلٍ شيئا من هذا القبيل أو قريبا منه .

قالت "ما دام سلوكي هو سلوكُ أغلبيةِ النساءِ فهو سلوكٌ طبيعي !" .

قلت " لا أبدا ! . هذا ليس صحيحا , وهذه ليست حجة لك عند الله تعالى . هذه أنانيةٌ عندك أختي غيرُ مقبولة . الرجلُ له حسناتٌ وسيئاتٌ : أما الحسناتُ فمطلوبٌ منه تنميتها والزيادةُ منها واستغلالُها الاستغلالَ الأكبر و...

وأما السيئاتُ فمطلوبٌ منه التعرفُ عليها وجهادُ نفسه المستمرُّ من أجل التغلبِ عليها . والمرأةُ لها حسناتٌ وسيئاتٌ , والمطلوب منها هو نفسُ المطلوبِ من الرجلِ . أما القولُ " هذه طبيعتنا التي خلقنا الله عليها , ومنه فنحن لا نلام عليها " , فهو قولٌ ضعيفٌ وفارغٌ ولا قيمةَ له البتة . أنا أسمعُ هذا الكلام من بعضِ النساءِ منذ كنتُ صغيرا .

كلما نبهتُ واحدة إلى عيب من عيوب المرأة أو إلى سيئة من سيئاتها من باب النصيحة لها , إما أن تدافع عن نفسها وعن النساء وإما أن تقول " ولكن الرجل كذلك ... " وإما أن تقول " هذه هي طبيعتنا التي خلقنا الله عليها ... " , وكلُّ هذه المواقف خاطئة . والله ورسوله أعلم .

16 - جلوس تلميذ مع تلميذة خلف طاولة واحدة :

على الأستاذ أن يتجنب إجلاس تلميذ بجانب تلميذة خلف طاولة واحدة (بعد بلوغ كليهما واحتياطاً بعد وصول كل منهما إلى السنة الثانية متوسط حيث تقترب الكثير من البنات من سن البلوغ) . وابتعدَ عن الصواب من قال بأنه ليس في ذلك شيءٌ , بل إن في ذلك من الشرِّ ما فيه إذا أصبح عادة متبعة , و " **ليس الذكر كالأنثى** " كما قال رب العزة سبحانه وتعالى . والرجل عادة يكذبُ في تعامله مع المرأة , وهو يكذبُ حين يقولُ للمرأة بأنه لا بأسَ من جلوسِ الابن مع بنت خلفَ طاولة واحدة في مقاعد الدراسة , وبأن التلميذَ لا يتأثر فكرياً ولا سلوكياً بهذا الجلوس !.

إن جلوسَ التلميذ إلى جانب التلميذة مرفوضٌ شرعاً لأكثر من سبب منها :

- أ - أنه اختلاط غير مبرر . الأستاذ مفروضٌ عليه في بلدنا أن يُدرِّس في مؤسسات مختلطة , ولكن ليس مفروضاً عليه أن يُجلِسَ الذكرَ إلى جانب الأنثى .
- ب- أن التلميذَ وهو جالسٌ إلى جانب الأنثى يتأثر في الكثير من الأحيان - يتأثر أكثر مما تتأثر الأنثى - فيبقى أثناءَ الحصة يُفكرُ في التلميذة التي تجلسُ إلى جانبه أكثر مما يتابعُ الدرسَ الذي يلقيه الأستاذُ . هذا إن فرضنا بأنه لم يحدثْ مع زميلته حركة لا تليقُ ولم يقلْ لها كلمة لا تجوزُ .

وبالمناسبة أقولُ بأنني وخلال 29 سنة من التعليم الثانوي حتى الآن (2007 م) لم أضرب إلا حوالي 7 تلاميذ منهم :

تلميذٌ يدرسُ في ثانوية ... خلال السنة الدراسية 1981 / 1982 م , وجدتهُ في يوم من الأيام عندما دخلتُ إلى القسم , وجدته جالساً مع زميلته (مع أنني حذرتُ التلاميذَ في بداية السنة من ذلك وبيتُّ لهم سيئاتِ ذلك) . سألتُ التلميذَ والتلميذة ثم ضربتُ التلميذَ بعد ذلك . ضربتُ التلميذَ لسببينِ إثنين :

الأول : أنه هو الذي فرضَ على التلميذة الجلوسَ أولاً ثم جلسَ بجانبها ومنعها من تغيير المكان أو الطاولة.

الثاني : أنه عندما سألتُهُ عن ذلك لم يعتذرُ إلي ولم يعتذرُ لزميلته , بل قال لي " وماذا في ذلك يا أستاذ , إنها مثل أختي !!! " .

ضربتُ التلميذَ في ذلك اليوم ثم جاءني التلميذُ في اليوم الموالي ليعتذرَ إلي : غفر الله لي وله ولزميلته , آمين . والله أعلم بالصواب .

17 - " الباب اللي يجيكَ مَنو الريخ سَدُو واستريح " :

أي " المنفذ الذي يمكن أن يأتيك شرٌّ عن طريقه , ما عليك إلا أن تُغلِّقه لتستريح " . في السنة الأولى من دراستي في الجامعة (عام 1975 - 1976 م) لم أجد في البداية غرفة أسكن فيها بالحي الجامعي . ومنه فقد اضطررتُ للبحثِ عن سكنٍ آخرٍ مهما كان نوعه ولكن بتكلفة أقل , لأن عائلتي كانت فقيرة . سكنتُ في البداية ولبضعة أسابيع في حمامٍ عمومي وفي ظروفٍ صعبةٍ جدا لأنه لم يكن نظيفا ولأن الضجيج كان يسوده في الكثير من الأحيان ولأنه كان مفتوحا لي فقط لأبيتَ فيه في الليل , وأما في النهار فهو لغيري ممن يريد أن يستحم فيه . وكنتُ لذلك أدخلُ إليه في الليل بعد العشاء وأخرجُ منه في الصباح قبل الساعة الثامنة , ثم لا يُسمحُ لي بعد ذلك أن أدخلَ إليه من جديد إلا بعد العشاء . ثم انتقلتُ إلى مكانٍ آخرٍ ظنا مني بأنني انتقلتُ إلى مكانٍ إقامةٍ أفضل , ولكنني عرفتُ فيما بعدُ بأنني كنتُ في ذلك كالمستجير بالرمضاء من النار , لأنني هربتُ من شرٍّ فوقعتُ في شرٍّ أكبر منه . استأجرتُ حجرة عند عائلة أنا (كنتُ جامعيًا) وإثنانٍ آخران (كانا يدرسان في ثانوية) , على أساس أننا في كل شهر ندفعُ تكلفةَ الكراء للشهر المقبل , وهكذا إلى نهاية السنة الدراسية . وعرفتُ خلال أسابيع بأن المرأةَ صاحبةَ البيتِ كانت تعملُ حارسةً أو خادمةً في بيتٍ من بيوت الدعارة (أكرمكم الله) بمدينة قسنطينة , وهذا خبرٌ أذهلني لأنني وبغض النظر عن الجواز أو الحرمة , فأنا لم أستسغُ نهائيا أن أسكنَ عند امرأةٍ هذه هي وظيفتها . بدأتُ عندئذُ أفكرُ تفكيراً جدياً في مغادرة هذا البيتِ على الأكثر في نهاية الشهر الأول . ولكن قبل ذلك لا بد أن أبحثَ عن مكانٍ إقامةٍ بديل . وخلال أيامٍ أخرى عرفتُ بأن ابنةَ المرأةِ صاحبةَ البيتِ طالبةٌ مثلي في الجامعة . جاءت في البداية ترحبُ بي مع أمها وقبلتُ الأمرَ على مضضٍ واعتبرته عادياً أو شبه عادياً . ولكن الأمرُ تكرر خلال أيامٍ تكاد تكون متتالية , مرة باسم الاطمئنان على أحوالي وأحوال من معي , ومرة باسم السؤال عن الدراسة والبرامج والتوقيت والمراجع والكتب والمطبوعات وثالثة باسم ... وهكذا ... شملتُ لمدة حوالي أسبوعٍ من خلال زيارات هذه الطالبة لي أنا والأخوين اللذين كانا معي , شملتُ ما لا يُعجب , فعزمتُ عزمًا أكيدا على أن أغادر هذا البيتَ مع تمام الشهرِ مهما كان الثمنُ (أغادر قبل أن توقعني الطالبة في شباكها) . وبعد أيامٍ اكتملَ علينا شهرٌ ونحن في هذه الدار , فغادرتُ الدارَ إلى الحي الجامعي , حيثُ سُمح لي بأن أسكنَ في حجرةٍ كبيرةٍ نسبياً بالحي الجامعي نحاس نبيل , والحمد لله على كل حال أو والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

18 - أسوأ قصة أو رواية قرأتها في حياتي :

قراءة الكلام البذيء الفاحش من خلال قصة أو رواية أو ترجمة أو سيرة أو ... هو أمر حرام وهو غير جائز , سواء كانت نيتنا من وراء ذلك حسنة أم سيئة . وأذكرُ الآن - وبكل أسف - أنني قرأتُ عندما كنتُ تلميذاً بالثانوية - بين 1972 و 1975 م - رواية بالفرنسية - فيها حوالي 300 صفحة من الحجم الصغير , وسمعتُ فيما بعد أن القصة حُوِّلت إلى فيلم من الأفلام الساقطة المشهورة اليوم في عالم الفن المائع والمنحل , أو ما يسمى بقصص الحب (!!!) . ولأنني كنتُ شاباً غلبتني نفسي فإنني انجذبتُ إلى القصة وقرأتها بشغف خلال يومين أو ثلاثة . وأنا الآن أجزمُ للقراء أنني عندما انتهيتُ من قراءة الرواية كدتُ أتقيءُ - أكرمكم الله - من سوئها وفسادها وقبحها وسقاطتها وخبثها و... وعزمتُ منذ ذلك الوقتِ على أن لا أقرأ - بعد ذلك - ما فيه كلامٌ فاحش ولا أقرأ خبيثاً ولا أقرأ إلا طيباً . ومنه انتقلتُ بعد ذلك إلى قراءة مئات الروايات الإسلامية خلال سنوات قليلة جداً , من ضمنها روايات نجيب الكيلاني وعبد الحميد جودة السحار وشيئاً مما كتبَ مصطفى صادق الرافعي و... الخ... وفي ذلك الوقتِ عرفتُ من ضمن ما عرفتُ من ديني :

- 1- أن الهوى عندما يغطي على العقل يصبحُ الشخصُ كالمجنون .
- 2- أن المعصية لذيدة ولكن لذتها تزول ولا يبقى إلا عقوبتها . وعلى الضد من ذلك , فإن الطاعة مُتعبة ولكن تعبها يزولُ ولا يبقى إلا ثوابها .
- 3- أن لذة جهاد النفس من أجل إلزامها بالطاعة أعظمُ بكثير من لذة موافقة النفس واتباع هواها والوقوع في معصية الله .
- 4- أن هناك فرقاً واضحاً جداً بين قراءة الكفر (الجائز بشروط) وقراءة الكلام البذيء الفاحش (الحرام في كل الأحوال) .
- 5- وأنه لا يوجد أبداً أمرٌ جميلٌ وحرامٌ في نفس الوقت : إما أن يكون جميلاً بحق , فهو حلال . وأما إن كان حراماً , فهو قبيحٌ بكل تأكيد ولا يمكن أن يكون حسناً .
- 6- وعرفتُ كذلك لماذا توبةُ الشاب أحبُّ عند الله من توبة الشيخ ؟ .

19 - عن غض بصري مع التلميذات :

صحيحٌ أنني كنتُ متشدداً في أمرِ غض البصر في الثانوية في السنوات الأولى من التعليم , ثم تساهلتُ مع نفسي قليلاً في هذا الأمر . تساهلتُ مع نفسي لسببين أساسيين :

الأول : أنني كنتُ غيرَ متزوج من قبل , ثم تزوجتُ بعد ذلك .

الثاني : أنني من فرط مجاهدتي لنفسي ولهواي وللشيطان من جهة , ومن فرط محبتي الكبيرة لتلاميذي – ذكورا وإناثا – , قلت : لهذا السبب وذاك أصبحت مع الوقت أنظرُ ربما في 95 % من الأحيان تقريبا , أنظر إلى التلميذة – خاصة وهي في الثانوية – وكأنها ابنتي بالفعل , ومنه فأنا وإن رفعتُ بصري للنظر إلى وجهها , فأنا أفعلُ ذلك معها بنية حسنة وكأنها إحدى محارمي . ومع ذلك يبقى مطلوباً من الرجل (أي رجل) دوماً أن يجاهد نفسه من أجل غض البصر – مع النساء الأجنبية – ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

20 - إذا أردتم أن تكونوا رجالاً لا ذكورا فقط :

إنني أقول دوماً - باستمرار ومن سنوات - للتلاميذ الذين يدرسون عندي " إن الذكور كثيرون , ولكن الرجال قليلون (في هذا الزمان وفي كل زمان تقريبا) . وإن الواحد منكم لن يكون رجلاً إلا إذا حرص على أن يدافع عن المرأة – كل امرأة - كأنها أخته بالضبط . إذا وجدَ الواحد منكم في يوم ما " رجلاً ساقطاً " يريدُ أن يعتدي على إحدى زميلاته في الثانوية (أو على أية امرأة أخرى) , فإن عليه أن يأخذ عصاً أو سكيناً أو ... ويقول للآخر " تفضل ! إنك لن تصل إليها بإذن الله إلا على جثتي ! " . إذا حرصتَ أيها التلميذ (وأيها الذكر بشكل عام) على شرف المرأة وحياتها وعفتها , كما تحرص على شرف وحياء وعفة أختك , وبالشكل الذي ذكرتُ فعندئذ وعندئذ فقط أنت تستحق أن تكون رجلاً , وممن قال الله فيهم " **من المؤمنين رجال** ... " , وإلا فأنت ذكرٌ ولكنك لست رجلاً للأسف الشديد .

21- أي شعر هذا ؟ :

طلب مني في يوم من الأيام أهل عروس (هي واحدة من محارمي) - وذلك قبل الزواج بيوم واحد - طلبوا مني أن أرقى ابنتهم من أجل أمر ما , كانت تعاني منه , وهي تريد التخلص منه قبل دخول زوجها بها .

ولما كنتُ أقرأ عليها القرآن (أثناء الرقية) وضعتُ يدي على رأسها (أو على خمارها) فلامست يدي خصلات من شعر رأسها ففوجئتُ من ملمس شعرها اليابس الذي لا يشبه الشعر لا من قريب ولا من بعيد ... كما فوجئتُ بلون الشعر الأصفر المخالف للونه الطبيعي الأسود الذي كنتُ أراه يزين رأسها بين الحين والآخر بمناسبة أو بدون مناسبة .

سألته بعد الرقية " ما بال هذا الشعر يابساً؟! " , فأجابت خجلة ومطرقة برأسها إلى الأسفل " إنه الجال وإخوة الجال " , طبعاً من مستحضرات كيميائية ومراهم شيطانية تضر بشعر المرأة ولا تجمله أبداً , بل تجعله قبيحاً جداً سواء بالنظر أو باللمس .

ثم سألتها " ما بال لون شعرك متغيرا ومختلفا عن لونه الأصلي؟! " , فقالت وهي تكاد تدفن رأسها في الأرض من شدة الإحراج " إنه مصبوغ بمناسبة زواجي " , طبعا بأصباغ تُقبح صورة المرأة ولا تجملها أبدا , وتصيب الشعر مع الوقت بجملة آفات منها إصابته بداء التساقط فضلا عن تجعده وقبح منظره . وقد لا يلاحظ قبح هذا الشعر الشخص الذي ينظر إليه من بعيد , ولكن الذي يقترب منه (كالزوج أو كالمحارم من الرجال أو النساء) سيرى حتما قبح هذا الشعر وبشاعته .

جلستُ مع هذه الشابة وسألتها ثم سمعت منها ثم قلتُ لها ما يلي , وإن كنت أميل – من خلال التجربة – إلى أنها (مثل الأغلبية الساحقة من النساء , ومثل مئات النساء اللواتي كلمتهن في مواضيع مشابهة خلال عشرات السنين) بعقلها معي ولكنها بعاطفتها ضدي :

1- العادات والتقاليد لا يليق أن تُحترم إلا إن كانت حلالا وكانت غير مكلفة .

2- لا يجوز الإسراف والتبذير في أي شيء بما في ذلك تكاليف الولائم والأفراح والأعراس .

3- لا يجوز أن يكون الواحد منا إمعة إن أحسن الناس أحسن هو وإن أساءوا أساء , ولكن وكما قال رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام " **وطنوا أنفسكم ... إن أحسن الناس أن تحسنوا , وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم** " .

4- ربما ليست هناك مناسبة تنسى فيها النساء الله عزوجل مثل مناسبات الأعراس وحفلات الزواج .

5- المبالغ المالية التي تُصرف على تسريحة شعر العروس وعلى الماكياج , مبالغ ضخمة يا ليت النساء تصرفنها في أشياء أخرى أهم .

6- أجمل امرأة في العالم هي المرأة الطبيعية النظيفة , ثم السواك والكحل والحناء كل ذلك يُجمل المرأة الجمال الحقيقي لا المزيف .

7- تسريحات شعر العروس الحالية فضلا عن أنها مكلفة مادية للعروس وأهلها فإنه لا علاقة لها أبدا بجمال العروس , بل هي في الحقيقة والواقع تقبح المرأة وتشوه صورتها إلى حد كبير , ولكن كثيرات من النساء لا تفقهن ولا تعلمن ولا تعترفن .

8- والغريب أن أغلبية العرائس تنسبت الواحدة منهن في عرسها هي , تنسبت وتمسك بهذه العادات والتقاليد البالية والمنحرفة والمكلفة والمقبحة من منطلق التفاخر والتباهي ومراعاة كلام الناس والخوف من انتقاداتهم و ... ثم إذا فات عرسها هي تصبح بين

عشية وضحاها وبدون مقدمات , تصبح تنتقد وبقوة وبشدة من تراها من العرائس (من زميلات وصديقات وجارات و...) مقبلة على الزواج وتفعل ما كانت تفعله هي في ماض قريب جدا ... ما أعجب أمركن أيتها النساء !.

9- إذا أنكرت على عروس متمسكة فوق اللزوم بالعادات الحرام أو بالتقاليد المكلفة ماديا أو التي تقبح ولا تحمل , يمكن أن تقول لك " إيه ... أنتم ما فكرتم في التغيير إلى الأحسن إلا عندما وصل الأمر إلى زواجي أنا " , مع أنه كان الأولى بها أن تقول العكس تماما , أي أن تقول " الحمد لله الذي أتاح لي فرصة من خلال حفل زواجي أنا , أن أتخلص مما لا يجوز أو لا يليق من بدع أو محرّمات أو عادات الأعراس البالية والحمقاء أو على الأقل أنقص وأقوم وأحاول ما استطعت ... وأجري على الله عزوجل " .

10- قالت لي الشابة التي كنت أحدثها , قالت لي في وقت من الأوقات خلال جلستنا " يا ... كل واحد له قناعاته وآراؤه "!!! فقلت لها :

ا- أبدا ثم أبدا ... لا قيمة للقناعات والأفكار والآراء إن كانت مخالفة للشرع والدين " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا " .

ب- ثم أبدا وأبدا ... أنا أجزم بأن القضية لا علاقة لها البتة بالقناعات , ولكنها فقط العبودية والتقديس للعادات والتقاليد المنحرفة ... ولكنه التباهي والتفاخر ... ولكنه الخوف من كلام الناس ... ولكنه التقليد الأعمى والعياذ بالله وإلغاء العقل الذي كرم الله به الإنسان وفضله به على سائر مخلوقاته الأخرى .

22- عن خلوة رجل مع نساء وخلوة امرأة مع رجال :

اختلف الفقهاء ، في خلوة رجل بأكثر من امرأة ، وفي خلوة امرأة بأكثر من رجل : هل تدخل في دائرة الخلوة المحرمة شرعا أو لا ؟.

- 1- ذهب المالكية والحنابلة إلى أنها من الخلوة المحظورة والممنوعة والمحرمة .
- 2- واختلف الشافعية في ذلك ، ولكن الذي عليه محققوهم جواز ذلك . ورجحه الإمام النووي في (المجموع) ودليله الحديث : " لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مُغيبية إلا ومعه رجل أو اثنان " , قال " ولأن النساء المجتمعات ، لا يتمكن الرجل في الغالب من مفسدة ببعضهن في حضرتهن " . والمغيبية : من غاب عنها زوجها في الجهاد وغيره .
- 3- واتفق الحنفية على أن الصور المسئول عنها ، أي خلوة الرجل بنساء أو خلوة المرأة برجال لا تدخل في الخلوة الممنوعة ، أي أنها جائزة ومباحة .

ولأن المسألة خلافية وليست أصولية , فأنا من زمان لا أشرطُ على المرأة التي تطلبني للرقية (بعد استئذانها من أهلها أو من زوجها) أن يكونَ معها محرّمٌ من الرجالِ أو زوجٌ . نعم إن كان معها محرّمٌ من الرجالِ أو زوجٌ فذلك خيرٌ وبركةٌ , ولكن إن لم يكن ذلك معها فإنني لا أتشدّدُ معها وأشرطُ عليها فقط أن تكونَ معها امرأةٌ أو أكثر من الصديقات أو الجارات أو القريبات أو ... المستورات أو المعروفات بحسن سلوكهن ... وذلك فقط حتى لا يكونَ بيني وبينها خلوةٌ شرعيةٌ محرمةٌ لم يختلف العلماء في حكمها . إن وجودَ الرجلِ الواحد مع امرأتين أو أكثر ليس خلوةً , وكذلك وجودَ المرأةِ الواحدة مع رجلين أو أكثر ليس خلوةً , على الأقل عند بعض الفقهاء والعلماء قديما وحديثا .

23- كنت أراسل أستاذة الإنجليزية ! :

مما له صلة بالتلاميذ وكتابة الإنشاء في الإنجليزية أو الفرنسية , التي هي مهمة يجد الكثير من تلاميذ هذا الزمان صعوبة فيها , مما له صلة بذلك أتذكر أنني كنت خلال العام الدراسي 1974 – 1975 م أدرس في السنة الثالثة ثانوي رياضي حيث الرياضيات والعلوم الفيزيائية هما المادتان الأساسيتان , ومع ذلك كنتُ والحمد لله متفوقا في كل المواد بما فيها مادة الإنجليزية التي كنتُ أخذ فيها غالبا 20 على 20 . ولذلك أحببتي أستاذة الإنجليزية (ألمانية متزوجة بأمريني) محبة الأستاذة لتلميذها ... ولأن عقدها هي وزوجها انتهى مع وزارة التربية الجزائرية في تلك السنة فإنها ومع نهاية السنة التي نجحتُ فيها في شهادة البكالوريا أخذت مني (بعد إذن زوجها) عنواني الخاص وطلبت مني أن أراسلها باستمرار حتى أبقى متقنا للغة الإنجليزية , (وذلك قبل أن ترجع هي مع زوجها إلى ولاية مينيسوتا بأمریکا) . وبالفعل كنتُ أكتبُ لها وتكتبُ لي باستمرار وبمعدل رسالة في كل شهر تقريبا , وكانت كل رسالة فيها صفحة أو صفحتان كلها بالإنجليزية ... وكانت مراسلاتنا بريئة ونظيفة 100 % , كلها تتحدث عن أحوالي وأحوالها وأحوال زوجها , وعن الطبيعة في بلادنا وبلادها , وعن الأكل والشرب والنوم والسياحة والجبل والواد والبحر وما شابه ذلك ... وكانت كل الرسائل بيني وبينها بإذن زوجها ... وكنتُ أتقن اللغة الإنجليزية كتابة ونطقا , حيث ساعدتني هذه الرسائل مني وإلي , ساعدتني كثيرا ...

ولكن وفي يوم من الأيام ونتيجة ضيق الأفق عندي وتشددي تشدد الشباب المتحمس لدينه والجاهل بدينه , فكرتُ ثم فكرتُ في هذه المراسلة : تليق أو لا تليق ؟ , تجوز أو لا تجوز ؟ , ... ثم وبدون الرجوع إلى أي عالم أو داعية قررتُ التوقف عن كتابة هذه الرسائل إلى أستاذتي ... أرسلتُ إلي رسالة أخرى أولى تساءلت فيها عن سبب عدم ردي على رسالتها ,

ثم أرسلت رسالة ثانية , ثم أرسلت الثالثة ثم توقفت نهائيا ... وانقطعت الصلة نهائيا بيني وبينها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم .

ولأنني تكاسلت بعد ذلك وأنا أدرس في جامعة قسنطينة ومع واجبات الدراسة وكذا مع تكاليف الدعوة والحركة والسياسة و... ولأنني توقفت عن الكتابة والمطالعة بالإنجليزية فإني بدأت أنسى اللغة الإنجليزية ثم أنسى , بحيث أصبحت اليوم مثلي مثل أي تلميذ ثانوي عادي في مادة الإنجليزية أجد صعوبة في التحدث بها أو في الكتابة بها , وأما أن أكتب إنشاء أو رسالة باللغة الإنجليزية كما كنتُ أفعل أيام زمان فهو أمر شبه مستحيل ... وذلك بعد أن كانت عندي الكتابة بالإنجليزية في يوم من الأيام , كانت سهلة جدا .

24 - خجلٌ يسمونه - ظلما وعدوانا - حياء :

على خلاف حال أغلبية الناس : يسألني إخوتي وأخواتي بين الحين والآخر , يسألونني عن أشياء مختلفة متعلقة بالحلال والحرام , ومنها المسائل الجنسية التي يستحي بعضُ الناس أن يتحدثوا فيها من منطلق الحياء المزيف , والحقيقة أنه ليس بحياء (محمود) ولكنه خجلٌ (مذمومٌ) . أنا من زمان أشجعُ إخوتي وأخواتي على السؤال وأجيبهم تارة بأجوبة مختصرة وتارة أخرى بأجوبة مفصلة , تارة بالتلميح وتارة أخرى بالتصريح , تارة عن السؤال المطروح فقط وتارة أخرى أجيب عن السؤال المطروح وعن أسئلة أخرى مشابهة , تارة أجيبُ عن السؤال المطروح وتارة أخرى أعرضُ عنه لعدم أهميته وأجيبُ عن سؤال آخر غير مطروح وأرى أنه أهمُّ من المطروح , وهكذا ...

ملاحظة : صحيح أن الحديث في المسائل الجنسية مع الأخ أو الأخت أو ... الأفضل أن يكون مختصرا إن كان الاختصار يكفي , والأفضل أن يكون تلميحا إن كان التلميح يكفي , والأفضل أن لا يلجأ إليه المرء إلا عند الضرورة . ولكن إن اضطر الواحدُ منا إلى ذلك , وإن كان التلميح لا يكفي , وإن كان الاختصار لا يكفي , فيجوز عندئذ أو يستحب أو يجب الحديثُ المباشر والمفصل . ولا يمنع من هذا الحديث عندئذ حياءٌ , وإنما الذي يمنع منه عادة هو خجلٌ مذمومٌ وقبيحٌ .

25- العلاقة المثلى للرجل مع زوجته :

أنا من زمان أقولُ وأرفعُ صوتي بالقول , أقولُ مع البعيد ومع القريب , أقولُ مع الذكور ومع الإناث , بل إنني أقولُ هذا حتى مع إخوتي وأخواتي . أنا من زمان أقولُ دوما وباستمرار وحتى أمام إخوتي وأخواتي , أقولُ لكل متزوج ومتزوجة " أنا عندما أكون في البيت مع زوجتي , عندما نكون وحدنا , أنا يمكنُ أن أعطيَ ظهري لزوجتي لتركبَ عليه . هذا شأنِي ولا دخلَ لأحد في . هذا شأنِي مع زوجتي أفعلُ معها ما أشاء , أتحبُّ إليها وأتودد لها

وأحسن إليها وأحبها وأعاملها المعاملة الطيبة وأعاشرها العشرة الحسنة . لا دخل لأي كان في هذه العلاقة بيني وبينها . هذه زوجتي وأنا أسيرُ معها كما أشاء ولا أسمح لأي كان أن يقولَ لي " لم ؟! ". هذا فيما بيني وبينها , لأنني أنا هنا معها الرجلُ والزوج الذي تُحبه .
" [ولكن :

ا- فيما بينها وبين الله (مثل الصلاة أو الصيام أو الصدق أو الوفاء أو أداء الأمانة أو...) , فإنني لا أسمحُ لها أبدا ولا أسكتُ عن أي تقصير منها ولا أداهنها أبدا , لأنني أنا هنا معها الرجلُ الجادُ الحازمُ الذي تحترمه وأنا هنا معها الزوجُ الذي تهابه .

ب- فيما بينها وبين أهلي أو فيما بينها وبين أي واحد من الناس , فإنني لا أسمحُ لها أبدا أن تظلمَ أحدا أو تستهزئَ بأحد أو تسخرَ من أحد أو تتكبرَ على أحد أو تسفكَ دمَ أحد أو تأكلَ مالَ أحد أو تكذبَ على أحد أو ... الخ ... ولا أسكتُ عن أي تقصير منها في مجال من هذه المجالات التي ذكرتها أو التي لم أذكرها مما يُشبهها , ولا أداهنها أبدا ... وإلا إذا سكنتُ عنها وداهنتها فأنا كلُّ شيء إلا أن أكونَ رجلا أو زوجا] ."

أنا أرى بأن هذه هي المعاملة المثالية لكل زوج مع زوجته , هذه هي المعاملة التي فيها للزوجين بإذن الله خيرُ الدنيا والآخرة وسعادتهما .

26- راودها عن نفسها حتى يعطيها علامة جيدة في الاختبار:

كل فئة من فئات المجتمع فيها الطيب وفيها الخبيث , والمعلمون والأساتذة فئة من فئات المجتمع منهم الحسن ومنهم السيئ , ولكنني أتمنى وأتوقع أن تكون أغلبية الأساتذة بإذن الله على خير وأن يكون السيئون من الأساتذة قلة قليلة بإذن الله تعالى .

خلال السنة الدراسية 1978 – 1979 م , أي خلال السنة الدراسية الأولى لي في مجال التعليم كنت أدرّس تلاميذ السنة الأولى ثانوي والسنة الثالثة ثانوي . وكنت أحرص خلال التدريس على أن أكون معلما ومربيا في نفس الوقت مما جلب لي الكثير من المشاكل مع السلطات المدنية والعسكرية ومع إدارة الثانوية , ولكن في المقابل جلب لي الكثير من المحبة من طرف أغلبية التلاميذ والأولياء والأساتذة , أسأل الله أن يرزقنا جميعا الصواب والإخلاص لله تبارك وتعالى .

وفي يوم من الأيام اتصلت بي تلميذة من تلاميذ السنة الأولى , كانت تدرس عندي , اتصلت بي وهي تبكي . سألتها " ما شأنك ؟ " , فأجابت بعد طول تردد بأن أستاذنا من دولة عربية كان يُدرّسها هي وزميلاتها مادة العلوم الطبيعية (أنا أدرّسهم مادة العلوم الفيزيائية وهو

يدرسهم مادة العلوم الطبيعية) , انفرد بها في القسم وفي حصة من الحصص , ثم راودها صراحة عن نفسها في مقابل أن يعطيها علامة جيدة في الاختبار !!!.

وقالت لي بأن هذا الذي وقع معها بالأمس وقع مع غيرها من تلميذات القسم في أكثر من مرة من طرف نفس الأستاذ وخلال شهور , وأضافت " ولحسن الحظ يا أستاذ لم تستجب ولو تلميذة واحدة لرغبة الأستاذ الساقطة ... ولكن من يدري ما سيحدث في المستقبل إن تُرك الأستاذ لحاله يسرح ويمرح كما يشاء , ولم يُوقَف عند حده ولم يُؤدب " .

فاجأتني التلميذة بما أخبرتني به وحزنت كثيرا لما سمعتُ , ولكنني قلتُ لها " قبل أن أتصرف مع الأستاذ بعد قليل بما أراه مناسباً حتى لا يتكرر معك أو مع غيرك ما حدث لك أنت بالأمس مع هذا الأستاذ ... يجب أن تعلم الواحدة منكن - أنت وزميلاتك - علم اليقين أن الرجل الساقط لا يخطو عموماً الخطوة الأولى من أجل إغواء المرأة إلا بعد أن تخطو المرأة نفسها خطوة واحدة قبل خطوته هو , إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ومنه فعلى كل واحدة منكن أن تحتاط ما استطاعت في تعاملها مع الذكور عموماً حتى ولو كانوا أساتذة , وذلك عن طريق جملة أمور منها :

- 1- اللباس المحتشم (الحجاب مازال في ذلك الوقت لم ينتشر في ثانويات الجزائر كلها) .
- 2- عدم الخضوع في الكلام أمام الرجال .
- 3- تجنب الضحك على مسمع من الرجال الأجانب .
- 4- عدم الخلوة بأي رجل .
- 5- تجنب الأحاديث غير الضرورية مع الرجال .
- 6- تجنب أي نوع من أنواع الماكياج خارج البيت .
- 7- غض البصر , و ...

وذلك حتى لا يطمع فيكن من كان في قلبه مرض وزيف وهوى من الرجال , وحتى لا يتطلع إلى النيل من شرفكن من كان عبداً لشهواته وغرائزه الحيوانية " .

وطلبت من التلميذة أن تبلغ هذه الوصايا لزميلاتها .

ثم تركتُ التلميذة وذهبت فوراً إلى بيت الأستاذ الذي كان مسيحياً وكان يسكن في سكن خاص بأساتذة عزاب مسيحيين جاؤوا من دولة (...) باسم التعاون الثقافي بين ... والجزائر .

طرقْتُ الباب على مجموع الأساتذة فاستقبلوني استقبالا طيبا كعادتهم .

قلتُ لهم " أريد فلان " , قالوا " ما بالك يا أستاذ ... نحن نرى أنك اليوم في ثوب غير ثوبك المعتاد " , قلت لهم " لا شيء ... أنا أريد فلان وعلى انفراد " .

جاءني الأستاذ المعني , وكأنه لم يفهم سبب سُؤالي عنه . قلتُ له " هيا بنا إلى حجرة خاصة نبقى فيها وحدنا " . ذهبنا إلى حجرة خاصة دخلناها وأغلق الأستاذ الباب خلفنا وقال لي متعجبا " ما الأمر ؟ " , قلتُ له مباشرة " ماذا فعلتَ مع التلميذة فلانة ؟! " , فاصفر وجهه وعلم سبب مجيئي على عجل " . قال " ما فعلتُ معها شيئا يا أستاذ ... لا تغضب يا أستاذ ولا تسيء الظن بي ... لقد كان قصدي حسنا ... " , ثم بعد أن ضيقتُ عليه الخناق قال " أنا فعلتها مرة واحدة يا أستاذ , ولكنني لن أكررها مرة أخرى ... " .

سألته لوضع دقائق حتى تأكدت 100 % أنه راود بالفعل أكثر من تلميذة عن نفسها في مقابل تضخيم علامات الاختبار ... وأن جميع التلميذات لم تستجبن حتى الآن لما طلبه منهن .

قلت له عندئذ :

1- علاقتنا السابقة ببعضنا البعض انتهت ابتداء من اليوم . علاقتنا السابقة كانت أكثر من علاقة زملاء في التدريس بثانوية واحدة وأكثر من علاقة إخوة عرب (حتى ولو كنتُ مسلما وكنتُ أنت و زملاؤك مسيحيين) ... ولكن من اليوم فصاعدا نحن فقط أساتذة زملاء نلتقي بالثانوية لأن لقاءنا مفروض علينا , ولكن عندما أخرج من الثانوية أنا لا أعرفكم وأنتم لا تعرفونني .

2- يجب أن تعلم أنت و زملاؤك أننا استعنا بكم من أجل تعليم تلاميذنا وتلميذاتنا لا من أجل شيء آخر , وأن حكومتنا استعانت بحكومتكم عن طريق وزارة تسمى نفسها وزارة تربية لا وزارة سقطة وانحراف وانحلال , وأن مليون ونصف مليون من الشهداء ماتوا خلال 7 سنوات فقط أثناء الاستعمار الفرنسي البغيض للجزائر , ماتوا من أجل أن تعيش الجزائر حرة بأدبها وخلقها ودينها ومن أجل أن تعيش نساؤنا حرائر بحيائهن وعفتنهن وشرفهن لا بأي شيء آخر .

3- يجب أن تفهم وتحفظ بأني وإن كنت في أغلب حياتي مسالما ومتسامحا فيما يتعلق بحقوقى وبالاعتداء عليها , ولكنني متشدد جدا أو (على الأقل) أحاول أن أكون متشددا ما استطعت فيما يتعلق بالتعدي على حقوق الله أو الناس .

4- أنا يا أستاذ أتألم بسبب الإعتداء على شرف امرأة واحدة أكثر بكثير مما أتألم لقتل عشر نساء أو لاغتيال مائة امرأة .

5- يا هذا أتمنى أن لا تعيد أبدا ما فعلته مع تلميذات بالثانوية , أن لا تعيده في أي قسم بالثانوية ومع أية تلميذة كانت , بل أنا أتمنى أن لا تُحدّث من اليوم فصاعدا أية تلميذة على انفراد . أنت أستاذ قسم كامل فتحدث مع القسم كله أو مع التلميذة على مسمع من القسم كله . إياك أن تنفرد بتلميذة بعد اليوم ولو من أجل أن تقول لها " صباح الخير أو مساء الخير أو ... " . هذا هو الإنذار الأول والأخير لك , وقد أعذر من أنذر.

6- يا أستاذ لا يصلح لقب الأستاذ لشخص ما إلا بحقه , ومن حقه :

ا- أن يكون الشخص مربيا قبل أن يكون معلما .

ب- ومن حقه أن يكون قدوة عملية لتلاميذه .

ج- ومن حقه أن يحرص على مصلحة تلاميذه كما يحرص على أولاده وبناته .

د- ومن حقه أن يتقي الله في تلاميذه وتلميذاته سواء كان مسلما أو نصرانيا أو ... وكما لا يحب أي واحد منكم يا أستاذ أن يعيب أستاذا ما بعفة ابنته , لا يجوز لك أنت أو غيرك أن تعيب بشرف وعفة وحياء بنات الغير .

7- يا أستاذ السيئون مرفوضون سواء كانوا من بلدي أو من بلدك , والطيبون محمودون سواء كانوا أبناء بلدي أو كانوا أبناء بلدك أنت . أنا ضد اعتداء رجل على شرف بنات بريئات , سواء كان المعتدي من بلدي والمعتدى عليها من بلدك , أو كان المعتدي أنت الذي تريد الاعتداء على بنات بلدي , بل أنا حتى ضد اعتداء ولو مسلم أي مسلم على شرف أية امرأة في الدنيا كلها حتى ولو كانت يهودية .

الاعتداء على شرف المرأة - أية امرأة , مسلمة أو كافرة - حرامٌ وخزي وعار وسقاية وانحراف وانحلال وميوعة و... مهما كانت جنسية المعتدي ومهما كان دينه .

8- يا أستاذ يستحيل أن تحترم تلميذةً أستاذها وهي تراه يتعامل معها على أنه حيوان يريد أن ينقض على فريسته , عوض أن يكون أستاذا يُعلم ويربي ابنته . وحتى لو كانت التلميذة تحترمك كل الاحترام وتقدرك كل التقدير , ستنزل قيمتك عندها إلى الحضيض بمجرد أن تبدأ أنت ولو تلميحا في مساومتها على عفتها وشرفها . إن ما فعلته أنت مع تلميذاتك أسقط من قيمتك عند كل التلاميذ والتلميذات فضلا عن قيمتك الساقطة عند الله تعالى . ولو خرج خبرك إلى الناس فستكون فضيحة كبيرة لك .

9- وأخيرا أنا أهددك تهديدا ما فعلته من قبل مع غيرك , خاصة بهذه اللهجة بالذات ... والله يا أستاذ لو كررت ما فعلته من قبل ولو مع تلميذة واحدة , فلن أشكوك إلى المسؤولين عندنا ,

ولكنني سأعاقبك بضربك . ولن أضربك أنا ولن أوسخ يدي بمسك أنت , ولكنني سأكلف أشخاصا ليوجعوك ضربا جزاء فعلتك القبيحة مع بنات الجزائر .
اللهم إني بلغت اللهم فاشهد "

وخرجت لتوي من مقر سكن هؤلاء الأساتذة .

وبعد بضعة أسابيع سألت بعض التلميذات عن سلوك الأستاذ معهن فأخبرنني بأنه تغير جذريا , وأنه أصبح يتجنب ويتحاشى الحديث الخاص مع أية تلميذة كانت , بل أصبح يحتاط كثيرا في علاقته بالتلميذات بشكل عام حتى لا يقع في خطأ يكلفه كثير أو في خطيئة تكلفه غالبا ... وبقي الحال على هذا المنوال حتى نهاية السنة الدراسية حيث تحولت أنا بعدها إلى مدينة أخرى (غير التي كنت أدرس فيها), وحيث قضيت مهام الخدمة العسكرية لمدة عامين اثنين .

27- عاداتٌ أحترمُها وأخرى لا أحترمُها :

الإسلامُ طلبٌ منا أن نحترمَ عاداتٍ وتقاليِدَ الناس الذين يعيشون معنا أو حولنا , ومنه فالعرفُ مصدرٌ من مصادرِ التشريعِ الإسلامي عند بعض الفقهاء مثل الإمام مالك رضي الله عنه . والعرفُ الذي هو مصدرُ تشريع له بطبيعة الحال شروطه التي يمكنُ معرفتها من خلال الرجوع إلى كتبِ أصول الفقه مثلا . والإنسانُ المسلمُ - وخاصة الداعيةُ - مطلوبٌ منه أن يراعيَ عاداتٍ وتقاليِدَ الناس الذين يدعوهم إلى الإسلام وإلى آدابه وأخلاقه وتعاليمه و... ليكسبهم إلى صفه وليجعلهم مستعدين أكثرَ للسمع منه ولقبولِ دعوته قبولاً حسناً . ولكن ككلِّ شيءٍ آخر فإن الشيءَ إذا زاد عن حدّه انقلبَ إلى ضده , ومنه فإن خيرَ الأمورِ أوسطها , بمعنى :

ا- أنه لا يُقبلُ من المسلمِ الحرصُ المستمرُّ على مخالفةِ الناس في كل عاداتهم وتقاليدهم إلى حدٍّ أن يصبحَ شعارُ الشخصِ المسلمِ وكأنه " خالف تُعرف " , وهو شعارٌ قبيحٌ جدا وسيءٌ جدا .

ب- أنه لا يُقبلُ من المسلمِ أن يحرصَ على الموافقةِ الدائمةِ والمستمرةِ لكل عاداتٍ وتقاليِدِ الناس إلى درجة تقديسِ هذه العادات والتقاليد بحيثُ تصبحُ تساوي - من حيث المكانة والمنزلة - الدينَ , أو تصبحُ هي الأهمُّ ثم يأتي الدينُ بعدها الذي يصبحُ (هو) مهما فقط , والمعروفُ أن الأهمَّ مقدّمٌ على المُهمِّ .

أذكرُ هنا أنني أحترمُ عادات وأراعيها ولا أحترمُ عادات أخرى ولا أراعيها :

1- من الأمثلةِ عن العادات التي أحترمُها في حياتي : بقاءُ الرجلِ بعيدا عن زوجته , ولو بعد العقدِ الشرعي عليها , وبقاؤه بعيدا عنها حتى في يومِ العرس , حيث نَعوَدُ الناسُ أيامَ زمان أن نَعوَدَ العروسَ في يومِ عرسها امرأتان حتى توصلأها من بيتِ أهلها

إلى حجرتها في بيت زوجها . وأما خلال السنوات الأخيرة (وأنا أتحدث عن الجزائر ,
وأما في دول أخرى فأنا لا أدري ما هي العادة السائدة هناك حالياً) فإن كثيراً من الأزواج
أصبح الواحد منهم هو الذي يركب في السيارة مع عروسه من بيتها إلى بيته هو . يجلس
معها في السيارة ثم ينزلان من السيارة معا ويتجهان معا من السيارة إلى بيته هو , حيث
يتركها هناك ويخرج هو بعد ذلك . أنا هنا أرى أن عادات الناس أيام زمان أفضل ألف
مرة من عادة الكثير من الناس اليوم . إن في الأولى مراعاة للحياء ولكنني أرى أن في
الثانية دوسا على مقتضيات الحياء . وكمظهر من مظاهر احترامي لعادات الناس أيام
زمان في علاقة العريس بعروسه يوم العرس أنني عندما تزوجت يوم 13 جويلية 1984
م , وكنت في ذلك الوقت - وما زلت حتى الآن - أرفض رفضاً باتاً أن أركب مع زوجتي
يوم العرس أمام الناس في سيارة واحدة , أنا أرفض ذلك ولا أقبله بأي حال من الأحوال .

قلت : كنت واقفا (في مسقط رأسي) أمام بيت قريب لي بتُّ عنده قبل العرس بيوم ,
وذلك يوم الجمعة 13 / 7 حوالي الساعة العاشرة صباحاً , كنت واقفا على قارعة الطريق
أنتظر وصول العروس (زوجتي) التي ستصل بعد قليل من مدينة ميله التي تبعد عن
مسقط رأسي بحوالي 160 كلم . وبمجرد أن سمعت منبهات السيارات الآتية بزواجتي
والتي بدأت تدخل إلى القرية التي كنت أسكن فيها مع أهلي (بدائرة القل , ولاية سكيكدة) ,
بمجرد أن سمعت المنبهات , والسيارات الحاملة لزوجتي ومن معها , مازال بينها وبينني
حوالي 500 متراً , استحييتُ ودخلتُ إلى البيت الذي بتُّ فيه , ولم أخرج منه إلا بعد أن
تأكدتُ 100 % من أن زوجتي قد وصلتُ إلى بيتي وأنها دخلتُ إلى حجرتها . تمنيتُ أن
أرى زوجتي وهي تمر أمامي في السيارة مع امرأتين معها وفي موكب عرسي أنا , ولكن
الحياء منعني من ذلك , وهو حياءٌ أنا كنتُ ومازلتُ أعتزُّ به إلى اليوم. أنا لا أقول بأن ما
فعلته هو الواجب ولكنني أقول بأنني أرى أنه الأفضل والأطيب , والله أعلم .

2- ومن الأمثلة عن العادات التي لا أحترمها أن العريس كان أيام زمان - ومبالغة في الحياء
الذي يصبح مع المبالغة خجلاً لا حياءً - يقضي أسبوعاً كاملاً بعد العرس مباشرة وهو بعيد
تماماً عن أهله في النهار ولا يدخل بيته إلا من الليل إلى الليل . هذه عادة أنا لم أحترمها
عندما تزوجتُ لأنني اعتبرتها علامة خجل لا حياءً , ومنه فإنني ومن اليوم الأول بعد زواجي
كنتُ أدخلُ إلى بيتي وأخرجُ بالليل وبالنهار بشكل عادي وعفوي وطبيعي . تعجَّب البعض في
اليوم الأول ثم علمَ الناسُ وأهلي بعد ذلك بأن العيب هو في هذه العادة القبيحة وليس العيب في
سلوكي أنا , والله وحده أعلم بالصواب .

28- تصويري مع تلميذات ولو من بعيد :

ليس كل من ينتقدك في حياتك ينتقدك بحق , وليس كل من ينتقدك في الحياة يريد بك خيراً ,
وليس كل من ينتقدك في حياتك يعلم أنه خير منك ...

أحيانا نجد أشخاصا يعلم الواحد منهم عنا أننا على الحق وأننا على صواب وأننا على خير , ولكن لأن الواحد منهم لا يقدر أو لا يحب أن يجاهد نفسه ليكون مثلنا (أو خيرا منا) فإنه يعرض عن ذلك بحرصه على انتقادنا النقد اللاذع الساقط غير الموضوعي .

هناك أشخاص يرون أن غيرهم أفضل منهم , وعرض أن يعملوا مثلما يعمل هذا الغير أو أفضل مما يعمل هذا الغير ليكونوا مثله أو أحسن منه عند الله وعند الناس... عوضا عن ذلك تجد الواحد منهم يعمل من أجل إسقاط الغير إلى المستوى الهابط الذي يعيشونه هم وذلك من خلال نقدهم الزائد والمبالغ فيه لهذا الغير ولو بالكذب والزور والبهتان , وكذا من خلال السب والشتم وإصاق عيوب الدنيا كلها في هذا الغير .

وإذا كان الرد على هذا الناقد مفيدا ونافعا في مرة واحدة فإنه يضر أو لا ينفع ولا يفيد في 10 مرات . وإذا كان الرد مقبولا في حالة واحدة فإن الإعراض وعدم الرد أولى في 10 حالات أخرى .

كنت في بداية اشتغالي بالتعليم عام 1978 م – 1979 م حريصا كل الحرص على مصلحة تلميذاتي بالثانوية وكأنهن بناتي أو أخواتي الصغيرات ... أحرص على شرفهن وعفافهن وحيائهن كما أفعل مع نساء أهلي ... وكنت أغض بصري معهن وأتجنب الاختلاط بهن ولا أمس ولا أصافح أيا منهن ولا أقول لواحدة منهن أية كلمة لا تليق ولا أختلي بأية واحدة منهن ... وكان أحد المسؤولين بنفس الثانوية (هو اليوم متقاعد , سامحه الله وغفر لنا وله) كان يحاول عبثا أن ينشر بين أهل الثانوية دعايات كاذبة مفادها أنني معقد وأنني مريض وأنني مغلق وأنني لا أفهم شيئا من الحياة ومن النساء , وأنني أدعو إلى الدين لا لوجه الله بل لأغراض سياسية ... وأنه لا يليق بأية تلميذة أن تسمع كلمة واحدة مما أقول ولا نصيحة واحدة من نصائحي ولا توجيهها واحدا من توجيهاتي لهن و... وأذكر أن دعاياته ضدي كانت دوما تأتي بالثمار والنتائج المعاكسة والحمد لله رب العالمين .

وأذكر أنه من بين التوجيهات التي كنت نصحتُ بها تلميذاتي في نهاية ذلك العام الدراسي ضرورة تجنب التصوير مع الزملاء الذكور " من كانت ترغب في التصوير فلتأخذ لها صورة مع زميلاتها , وأما مع الذكور فلتتجنب التلميذة ولو أخذ صورة واحدة مع أي من الذكور ثم تسليم هذه الصورة لأي واحد منهم " . كنت أحذر من هذا التصوير المختلط لما فيه من سيئات كثيرة خاصة على الإناث . وكنت أطبق هذه النصيحة على نفسي , ومنه فكانت التلميذات تطلبن مني أخذ صور معهن ولكنني كنت أرفض ذلك على اعتبار أنني رجل أجنبي قبل أن أكون أستاذا أو ... وحتى إن لم أستطع أن أذكر كلمة " حرام " لأنني لست أهلا للفتوى , ولكنني أعلم يقينا أن هذا التصوير المختلط فيه من الشر ما فيه .

ومما وقع لي مع هذا المسؤول (ضمن عشرات الوقائع والحوادث) أنه حاول معي مرارا من أجل أن آخذ صوراً لي مع تلميذات ولما رفضتُ وأصررتُ على الرفض كان ينتظر مروري في أماكن معينة ويصورني من بعيد (عن طريق كاميرا عادية) في اللحظة التي تكون فيها تلميذات قريبة مني , حتى ولو كانت المسافة بيني وبينهن عشرات الأمتار ... وكان هذا المسؤول يأخذ هذه الصور ويُرِيها للغير ويقول لهم " أنظروا إلى الأستاذ رميته في صورة واحدة مع تلميذات " ... !!!.

ولله في خلقه شؤون , نسأل الله الهداية والرشاد لي ولكم جميعا , آمين .

29- عن الماكياج للمرأة :

معروفٌ في ديننا :

1- لا يجوزُ للمرأة أن تستعملَ الماكياجَ على وجهها (إن كان مكشوفاً) أو على يديها أمام رجال أجنبي .

2- أما العطورُ فلا يجوزُ لها أن تضعها على جسدها إن خرجت من منزلها للتحرك وسطَ رجال أجنبي , سواء كان وجهُها مكشوفاً أم لا .

3- لا يجوزُ للمرأة أن تتوضأَ للصلاة أو تغتسلَ للصلاة والأصابعُ على يديها أو على وجهها , لأن "الصبغة" تمنعُ وصولَ الماءِ إلى البشرة , ومنه فإن وضوءَها يكونُ بذلك باطلاً , وصلاتها التي ستصليها بهذا الوضوء أو بهذا الاغتسال ستكون باطلة تبعاً لذلك .

4- استعمالُ المرأةِ للعطورِ في بيتها أمامَ زوجها أو أمامَ محارمها من الرجال جائزٌ بإذن الله ولا شيء فيه شرعاً , بل إن استعمالَ العطورِ أو المسك أو العنبر أو ما شابه ذلك , استعمالُهُ من طرف المرأة كوسيلة من وسائلِ تزيينها لزوجها هو أمرٌ مستحبٌ يجعلُ زوجها يحبها أكثرَ , كما يُعظَّمُ أجرُها عند الله تعالى .

وأنا منذ كنتُ صغيراً كنتُ أكرهُ الماكياجَ (الذي بدأ في ذلك الوقت يظهرُ هنا في الجزائر , أي في الستينات) كرهاً شديداً ولا أستسيغه لا في المواضع التي يجوزُ فيها شرعاً ولا في المواضع الأخرى المحرمة . وعندما تزوجتُ وجدتُ أن من الاتفاقات الجميلة أن زوجتي كذلك تكرهُ الماكياجَ منذ كانت صغيرة , ولما رأت أنني أنا كذلك أرفضه ازدادت كراهيتها له , وما استعملتهُ في يوم من الأيام لا قبل الزواج ولا بعده , لا أمامي ولا أمام واحد من محارمها من الرجال . هذا مع ملاحظة أن الذي يقوم بالدعاية والإشهار للماكياج وللأصباغ

المختلفة هم عموماً تجار يريدون جمع الأموال الطائلة بالحق وبالباطل , وليسوا أطباء يريدون صحة المرأة وسلامتها .

أنا أرى أن أفضلَ زينةَ للمرأة هي : الوضوءُ , والنظافةُ , واللباسُ الحسنُ , والكحلُ , والحناءُ , والسواكُ والطيبُ أو العنبرُ أو المسكُ أو... غيرُ ذلكَ من مصادر الروائح الطيبة .

30- " اذهبن إلى بيوتكن ولا ترجعن إلى الثانوية إلا بلباس قصير وبلا خمار ! " :

عندما كنت أدرس أو أعلم التلاميذ في ثانوية عام 78-79 م كان الصراع بيني وبين إدارة الثانوية من جهة أولى وبين السلطات المدنية والعسكرية من جهة أخرى , كان الصراع قويا , بسبب إصراري على أن أكون داخل الثانوية أستاذا مربيا ومعلما في نفس الوقت وخارج الثانوية داعيا إلى الله تعالى . هذا الصراع هو الذي جعل السيد مدير الثانوية آنذاك يقول للبعض من مقربيه " أكبر خطأ ارتكبته في حياتي هو أنني قبلت الأستاذ رميته يدرس في الثانوية التي أديرها " .

ومن مظاهر هذا الصراع أن السيد ناظر الثانوية (نائب المدير للدراسات) كان من باب محاربة الدين أولا ومن باب التشفي في أنا ثانيا , وبعد أن علم بأنني أنصح التلاميذ عموماً بالدين والأدب والأخلاق وأنصح التلميذات خصوصا بالستر والعفاف والحياء وبالبعد عن الاختلاط بالذكور أو مصاحبة الذكور وب... قلت : كان السيد ناظر الثانوية يأتي بين الحين والآخر عندي (قبل بدء الحصة مع التلاميذ) ليقف بجانبني قبل أن أدخل التلميذات إلى القسم لينظر إلى التلميذات اللواتي بدأن يلبسن اللباس الطويل أو اللواتي يلبسن ولو نصف خمار فيطردهن أمامي وبطريقة غير شرعية وغير قانونية وبجراحة كبيرة وبوقاحة منقطعة النظير , وكان يقول لهن " لن تقبلكن الثانوية إلا بعد ارتداء اللباس القصير وبعد التخلص من شبه الخمار الذي فوق رؤوسكن " !!! . وكنت أتألم كثيرا وأحزن حزنا شديدا لأنني كنت أرى الباطل أمامي ولا أستطيع أن أغیره , لأنني لو اشتكيتُ بهذا الناظر الذي يخالف الدين والقانون , سيقف المسؤولون (خاصة في ذلك الوقت) مع هذا الناظر ومع كل مسؤول يحارب الدين بالطرق المباشرة أو غير المباشرة .

ومع ذلك كنت أتمنى في ذلك الوقت لو كانت إحدى التلميذات ابنتي (لم أكن متزوجا بعد) أو أختي أو أية واحدة من محارمي , لأنني عندئذ كنت سأدخل في معركة يمكن جدا أن تكون رابحة ضد السيد ناظر الثانوية سواء بضربه أو برفع دعوى قضائية ضده أو ... , لأن القانون المعوج يقول بروحه أو بنصه " ليس لك أي حق يا أستاذ أن تدافع عن الدين لأنك أستاذ علوم فيزيائية ولست وصيا على الدين ... ولكنه يسمح لك في المقابل أن تدافع عن عرض أو شرف إحدى محارمك " .

ثم أقول في النهاية بأنه ذهب زمان وجاء زمان وأصبح الحجاب (والحمد لله) منتشرًا في كل مكان بالجزائر وأصبحت أغلبية النساء والبنات الجزائريات متحجبات , وأما هذا الناظر وأمثاله فإنهم إما أن يتوبوا إلى الله وهذا ما أتمناه لهم من أعماق قلبي , أو سيذهبون ولا يتأسف على ذهابهم أحد .

31- ما أقبحها من صورة للعروس في ليلة زفافها ! :

حوالي سنة 1990 م حضرتُ زواجَ إحدى قريباتي . وفي الليلة التي سبقت عرسها أو سبقت زواجها (وبعد العشاء من تلك الليلة) طلبني أبوها على جناح السرعة . ذهبتُ إليه فأخبرني بأن ابنته العروس تريدني من أجل طرح بعض الأسئلة الفقهية علي . توقعتُ أن تكون الأسئلة مستعجلة وأن تكون الأسئلة خاصة بالنساء , بحيث يستحي الرجلُ عادةً أن يطرحها عوضاً عن ابنته خاصة في ليلة ما قبل زواجها , ومنه قلتُ له " مرحبا بابنتك وأسئلتها " . نادى ابنته التي كانت في حجرة مجاورة فدخلت علينا . طرحت علي ما شاءت من الأسئلة وأجبتها على أسئلتها بتوفيق من الله , وكانت الأسئلة على خلاف ما توقعتُ : كانت عامة وليست خاصة , ولم تكن مستعجلة . ومع ذلك ما دمتُ قد أتيتُ عندها وطرحتُ علي أسئلتها فإنني أجبتها . وكان يمكن أن أجيبها بالتفصيل عما سألتُ عنه وأن أجيبها كذلك عما لم تسألُ عنه , كما كان يمكن أن أستغلها فرصة – كعادتي – لتقديم النصائح والتوجيهات المناسبة لها , كما ... ولكنني وعلى خلاف العادة أجبت العروس باختصار شديد وعما سألتُ عنه فقط , ثم دعوتُها بطريقة غير مباشرة للإنصراف . لماذا ؟ , لأنني رأيتُ أمامي عجباً حينما دخلتُ علينا هذه العروسُ أنا وأبوها . رفعتُ بصري لأنظر إليها على اعتبار أنها من محارمي , ولكنني رأيتُ ما جعلني أغضُ بصري في الحين لأجيب عن أسئلتها بسرعة ولأصرفها بسرعة عني وعن أبيها بطريقة لبقة . المرأة – في أصلها - كائنٌ جميلٌ جداً , وهي من أجمل ما في الكون (مادياً) , ومنه فهي تجلبُ إليها الرجلَ عادةً سواء كان أجنبياً عنها أو كان من محارمها [وإن كان الجلبُ يختلف في طبيعته بين الأجنبي عنها ومحرمها] . وأنا مع هذه العروسِ بالذاتِ فإنني كنتُ سأغضُ بصري عنها بسرعة وأصرفها عني بسرعة , حتى ولو كانت أجنبية عني . وبصراحة لن أفعل هذا , فقط لأنها أجنبية عني ولأن الله طلب منا – نحن الرجال - غض البصر عن الأجنبيةات عنا , ولكنني كنتُ سأغض بصري عن هذه العروس – حتى ولو كانت أجنبية عني - لبشاعة المنظر الذي رأيتُه أمامي , وهو من أبشع المناظر التي رأيتها في حياتي . وهذا الذي رأيتُه منها رأيتُه في حوالي 5 أو 10 ثواني فقط .

1- رأيتُ عروسا , وجهةُ نظري فيها أنها لا تشبهُ المرأةَ ولا تشبهُ العروسَ . رأيتُ عروسا لا أذكرُ من صورتها إلا اليدينِ وما تعلق بالجزء العلوي من جسدها , أي العنق وما فوقه .

2- رأيتُ يدين بأظافر طويلة ومصبوغة لا تشبه يدي عروس , ولكنها تشبهُ يدين أو رجلين لحيوان مفترس .

والحنة في نظري تُجمل المرأةَ ولكن الأصابعُ - خاصة إن زادت عن التوسط والاعتدال - تُقبحها وتُشوه صورتها كل التشويه .

3- رأيتُ وجهها يشبه كلَّ شيء إلا أن يشبهَ وجهَ امرأة : وجهها على سطحه أشياء اصطناعية تلمعُ من بعيد , ولا تعبرُ عن أي جمال حقيقي , بل هو لمعانٌ يقول بلسانِ حاله بأن هذا الجمالَ لوجه المرأة هو جمالٌ كاذبٌ , وما أبعد الفرقَ بين المسكِّ أو العنبرِ أو حتى العطور الكحولية وبين هذه الأشياء اللامعة التي تُقبح ولا تُجمل والتي تكذبُ ولا تصدُقُ .

4- رأيتُ أصباغا على وجه المرأة سمكها كبيرٌ جدا وتُغطي مساحة كبيرة جدا من وجه المرأة بالطريقة التي تُصبحُ معها العروسُ تصلحُ - في نظري - أن تكون وسيلة لتخويف الغير خاصة في أماكن مظلمة , ولكنها لا تصلحُ أبدا أن تكون عروسا تتزيّنُ لزوجها من أجل إدخال الفرحة على قلبه وكذا من أجل تحصيله . رأيتُ أصباغا يصعبُ معها أن تعرفَ أين هو وجه المرأة الحقيقي لأن أغلبه مُغطى بالأصباغ .

5- رأيتُ عيين مصبوغٌ محيطٌ كلَّ منهما بالأصباغ من كل لون , والصبغةُ تغطي كذلك الرموشَ والأجفانَ . رأيتُ عيين لم يبق أمامَ العروسِ أو صاحباتها أو أهلها أو ... إلا أن يُدخلوا الأصباغَ إلى داخل العيين من العروسِ ليطمسوا لها بصرها نهائيا . ما أبعد الفرقَ بين الكحلِّ للعيين وبين هذه الأصباغ القبيحة والمُقبّحة .

6- ولكنَّ أبشعَ ما رأيتُ في تلك الليلة هو شعر هذه العروسِ : ومهما وصفتُ الشعرَ وشكله فلن أقدرَ مهما كنتُ شاعرا أو أديبا أو لغويا أو فيلسوفا أو ... الذي أنا متأكدٌ منه - على الأقل من وجهة نظري - هو أن شعرَ هذه العروسِ كان يُشبه كلَّ شيء إلا أن يُشبه شعرَ إنسان ولا أقولُ شعرَ امرأة ولا أقولُ شعرَ عروس . رأيتُ شعرا كأن الماشطة طُلبَ منها أن تُشوشه لا أن تُصلحه وتُزينه , أن تُقبحه لا أن تُجمله , أن تخلطه لا أن تُنظّمه , أن تخلطه وتُشبيكه لا أن تُسرحه , ... والشعر كذلك مصبوغٌ بطريقة مبالغ فيها , وكان عليه أشياء تلمعُ لمعانا زائدا : لمعان الكذبِ والزور والبهتان .

وباختصار لقد رأيتُ في تلك الليلة منظرًا تمنيتُ أن لا أراه في حياتي كُلِّها . وبعد أن خرجت العروسُ وغادرتُ أنا دارَ أبيها جلستُ مع نفسي لأسترجعَ ما مرَّ بي وعليَّ , وكأني كنتُ في حلم مزعج .

وأنا أنبه هنا إلى جملة مسائل :

1- أجملُ امرأة في العالم هي المرأة الطبيعية .

2- الذي يُقدِّرُ جمالَ المرأة التقديرَ الأسلمَ هو الرجل (وليس المرأة) قبلَ أن تكونَ هي المرأة , ومنه فلا يليقُ أن يقولَ لي قائلٌ " أنت يا هذا رجلٌ , ولذلك أنت لا تعرفُ ما يُجَمِّلُ المرأةَ وما يُقْبَحُها " .

3- يصل حاليًا ثمنُ أو تكلفةُ "ماشطة العروس" , يصل أحيانا إلى مليون سنتيم (وهو ما يعادل نصف مرتب موظف عادي في الجزائر لشهر كامل) , وهذا مبلغٌ باهظٌ جدا وكبير جدا وضخمٌ جدا , وهو نوعٌ من أنواع الجنون عند البعض من أبناء وبنات هذا الجيل . وأنا أعتبر دوما بأنه لا يليقُ أن تحترمَ العاداتِ والتقاليدَ إلا بشرطين وهما : كون العادة أو التقليد حلالٌ في الشرع , ثم كون العادة والتقليد غير مكلفة للمسلم التكليف الزائد والشاق .

إذا لم يتوفر الشرطان معا , فلا يليق احترامُ العادة أو التقليد . ومنه فإنني أقولُ بأنه غير مقبول البتة من ولي العروسِ أن يترك ابنته العروسَ تخسرُ هذا المبلغَ الباهظ من أجل " الماشطة " . إنني أعتبر أن في هذا من الإسراف والتبذير ما فيه , فضلا عن أنه لا يُجَمِّلُ المرأةَ أبدا بل إنه يُقْبَحُها كل القبح . والعادة جرت في الكثير من الأحيان (ولا أقول دوما) - وهذا رأيي- على أنه كلما كان المبلغُ أكبرَ كلما كانت " المشطةُ " أسوأ وأقبح .

4- العروسُ في العادة تخسرُ ما تخسرُ على الأصباغ وكذا على الماشطة , لا لأنها مقتنعةٌ بصواب ذلك ولكن لسببين آخرين : أولهما مراعاة لعادات وتقاليد النساء , حتى لا يقال عنها بأنها لم تفعل مثلَ " الناس " , وثانيهما من أجل التفاخرِ مع غيرها حين تخبرهن بأنها دفعت من أجل زينتها ومن أجل " مشطتها " مبلغا أكبر مما دفعت أيُّ عروس أخرى .

5- العروس تفعل بمناسبة زواجها ما يُقْبَحُها لا ما يُجَمِّلُها حقيقة , وتخسر ما لا يجوز لها أن تخسره ... وهي تعلمُ خطأ ذلك . ولقد سألتُ خلالَ سنوات وسنوات , سألتُ عشرات العرائس وربما مئات النساء الأخريات فأجابتنني الأغلبيةُ الساحقةُ منهن بأنهن يفعلن ذلك فقط من أجل " الناس " ليس إلا .

32- أول امرأة طلبتها للزواج قبل زوجتي :

تزوجت من مدينة ميله (العقد يوم 30 / 8 / 1982 م , والدخول يوم 13 جويلية 1984 م) . ولكن قبل أن أتزوج بزوجتي حاليا وشريكة حياتي وربة بيتي وأم أولادي و... طلبت 4 بنات : 3 من مدينة القل (مسقط رأسي) وواحدة من مدينة ميله (مسقط رأس زوجتي) , وقدّر الله أن لا أتزوج بأية واحدة منهم .

أما الأولى فكانت تلميذة حاصلة على شهادة البكالوريا من ثانوية القل , وكانت أول تلميذة تلبس الحجاب في الثانوية حوالي عام 81 - 82 م . طلبتها لدينها ليس إلا , وكنت لا أعرف حتى صورتها ولم أرها ولو مرة واحدة قبل ذلك . بل إنني لم أطلب حتى صورتها - مع أن ذلك عرض علي ورفضت - , ولم أطلب ولو رؤيتها في بيتها أمام محارمها - وهو أمر جائز أو مستحب في ديننا - . طلب أبوها من أبي - رحمه الله - مهلة للتفكير ولاستشارة ابنته وللسؤال عني , وبعد أيام أعلن لأبي رفضه . وكان السبب هو " ابنك خوانجي (أي متدين نسبة إلى الإخوان المسلمين) , وأنا لا أعطي ابنتي لخوانجي !". ثم سمعت فيما بعد من بعض الإخوة والأخوات بأن الفتاة كانت موافقة على زواجها مني , وأهلها كلهم كانوا موافقين على زواجي ممن طلبت , ولكن الأب مارس دكتاتوريته على أهله وابنته ومنعني من أن أتزوج ابنته , خاصة وأنه كان مسئولاً في حزب جبهة التحرير الوطني .

33- إن لم تغير الفتاة لباسها فلن تدخل العروس بيت زوجها إلى يوم القيامة !:

أنا مقتنع هنا - وأنا مع وقفة من الوقفات المتعلقة بالأعراس - بجملة أمور مهمة وبسيطة وبديهية , أذكر منها :

1- إن أردت أن تعرف مستوى مجتمع من المجتمعات الإسلامية الصغيرة أو الكبيرة (قريبا من الإسلام أو بعدا عنه) فانظر إلى حال الأعراس فيها . إن وجدت بأن الولايم والأعراس نظيفة وطيبة وتكاد تكون خالية من أية بدعة أو محرم , فاعلم أن المجتمع بخير بإذن الله . وأما إن وجدت غير ذلك , أي إن وجدت بأن العرس سيء وخبث وأن أغلبه بدع ومحرمات تُرضي الشيطان وتغضب الرحمان , فاعلم أن المجتمع بشرّ والعياذ بالله وأنه يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت والمال من أجل إصلاحه .

2- إن أغلب مفاسد أعراس المسلمين اليوم آت من النساء ضعيفات الإيمان , ومن الرجال الذين يُسلمون غالبا زمام توجيه الأمور في الولايم والأعراس لهؤلاء النسوة البعيدات عن الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر , سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات أو أمهات , أو الخ ...

3- المرأة في العرس - مهما كانت ضعيفة الإيمان أو بعيدة عن الإسلام - , إن وجدت رجلا مسئولا عن إدارة أمور العرس , إن وجدته مسلما مؤمنا قوي الشخصية حازما جادا

يُحسِنُ إلى النساءِ ولكنه يقيمُ حدودَ الله في العرسِ ولا يسمحُ بحرامٍ أو بدعةٍ ولا يخافُ في الله لومةً لائمٍ ، فإنها قد تستاءُ منه في البداية ولكنها بإذنِ الله غالباً ستهابه بعد ذلك ثم ستحترمه في النهاية . وأما إن وجدت رجلاً ضعيفَ الشخصية لا يُهمُّه في العرسِ إلا أن يفرحَ الناسُ بالحلالِ أو بالحرامِ ، ولا يُهمُّه إلا إرضاءُ النساءِ والناسِ ولو بسخطِ الله تعالى ، فإنها قد تفرحُ به في البداية ، ولكنها بإذنِ الله وغالباً ستحتقرُهُ بعد ذلك ولن تحترمه في النهاية أبداً .

في يومٍ من الأيام (حوالي 1988 م) ، تزوجَ بِنُ عم لي بإحدى قريباته ، وكان العريسُ قد كلفني أنا وأخي الأكبرَ بالمسؤوليةِ عن العرسِ : أنا في المسائلِ الشرعيةِ حتى لا أسمحَ بحرامٍ أو بدعةٍ في العرسِ ، وأخي الأكبرُ في المسائلِ التقنيةِ المتعلقةِ بالأكلِ والشربِ والمواعيدِ والسياراتِ وشراءِ مستلزماتِ العرسِ وغير ذلك ... وعندما ذهبنا يوم الجمعة صباحاً إلى القرية التي تسكنُ فيها العروسُ لنأتي بها إلى بيتِ زوجها ، لاحظنا أن إحدى المرأتين اللتين خرجتا معها من بيتها إلى السيارة (جرت العادةُ على أن امرأتين تقودان العروسَ من بيتِ أهلها إلى دارِ زوجها) كانت خارجة مع العروسِ وهي متبرجة (لابسة لثياب قصيرة ، والفتاة عارية الصدر والشعر والعنق و..) ، مع أنني أنا وأخي اتفقنا مسبقاً مع أهل العروس من أجل أن لا يخرجَ مع العروسِ إلا امرأتان متحجبتان . أكدنا - قبل ذلك وبعد ذلك - لأهل العروس على أن المرأة وإن لم نستطع أن نفرضَ عليها الحجابَ بعيداً عن العرسِ ، ولكننا نريدُ لها إذا تحركت مع العروسِ فيما بين بيتِ العروسِ ودارِ زوجها ، نريدُ لها أن تتحرك بحجابها الكاملِ ، وذلك حتى تصلَ إلى بيتِ العريسِ ، ثم عندما ترجعُ إلى أهلها فلتلبسَ ما تشاء بعد ذلك : إن أحسنتُ أحسنتُ لنفسِها وإن أساءتُ فعليها . أشرنا إلى أهلِ العروس بأن يُرجعوا تلك الفتاة إلى بيتِ العروسِ إما من أجل أن تُغيّرَ لباسَها وإما من أجل أن تُستبدلَ بامرأة أخرى مُتحجبة كما يحبُّ الله ورسوله . رجعت الفتاةُ ورجعتُ معها العروسُ والمرأة الأخرى ، ووقع لغطٌ داخلَ بيتِ العروسِ بين من يريدُ أن يعملَ بنصيحتنا وبين من يريدُ العنادَ . استشارني أخي الأكبرُ " ما رأيك يا عبد الحميد؟! " ، فقلتُ له " لا نقبلُ منهم أبداً إلا أحدَ أمرين : إما نفس الفتاة بلباسٍ مقبولٍ شرعاً ، وإما امرأة أخرى متحجبة مكانها . وأما أن تُصِرَّ هذه الفتاةُ على أن تذهبَ هي مع العروسِ وبهذا اللباسِ الفاجرِ بالذاتِ فإننا لن نقبلَ منهم هذا أبداً " . قال لي أخي " وليكن الأمرُ كما رأيتُ " . اتصلَ أخي بأهلِ العروسِ وأكدَ لهم ما نحن عازمون عليه ، فقال له أبُ العروسِ (الذي كان معنا بقلبه ، ولكنه كان في واقعه مع أهله من النساءِ) " أنا معكم يا ... ولكنني مغلوبٌ على أمري . النساءُ رفضنَ إلا أن تخرجَ نفسُ الفتاةِ مع العروسِ وباللباسِ الذي تريدُ هي لا الذي طلبتم أنتم منها " . قلتُ عندئذُ أنا وأخي لأب العروسِ ولمجموعة كبيرة من رجالِ أهله ، قلنا لهم وبصوت عالٍ " إننا نعطيكم ربع ساعة فقط ، ووالله إن لم تخرجَ العروسُ بحجابها ومعها امرأتان كل واحدة منهما بحجابها ، والله لن تدخلَ العروسُ إلى بيتِ زوجها إلى يوم القيامة!! " .

أنا أعرف الآن (بعد سنوات طويلة من هذه الحادثة) أن هذه الكلمة قاسيةٌ جداً ، وأن هذا الموقفَ متشددٌ جداً ، ومع ذلك فإنني أرى أن الذي دعا إليه سببان أساسيان :

- الأولُ أنني كنتُ صغيراً في ذلك الوقتِ , ومن خصائصِ الشبابِ الحيويةُ والنشاطُ والاندفاعُ الزائدُ سواء في الخير أو في الشر . ومنه لو وقعتُ هذه الحادثةُ اليومِ وعمري أكثر من 60 سنة , فلربما تصرفْتُ حيالها بطريقة أقل تشدداً .
- وأما الثاني فهو أن الواحدَ منا يجدُ نفسه ميالاً للتشددِ الزائدِ كلما رأى الطرفَ الآخرَ متساهلاً في الدينِ التساهلِ الزائدِ , ولذلك فإنني عندما رأيتُ من الطرفِ الآخرِ نوعاً من الاستهتارِ بالدينِ وبالحجابِ فإنني تشددتُ أنا عندئذٍ .

أعطينا أهلَ العروسِ مهلةً لـ 15 دقيقة , وسمعنا بعد ذلك لغطاً أكبر من سابقه , سمعناه يأتي من داخل بيتِ العروسِ , وكنتُ أنا وأخي مصممين على تنفيذ ما هددنا به , خاصة ونحن قد تلقينا الضوءَ الأخضرَ من العريسِ حين أعطانا المسؤوليةَ الكاملةَ , وكان يثق فينا الثقةَ الكافيةَ والحمدُ لله . هذا كله مع ملاحظة أن السيارات كلها كانت تنتظرُ خلالَ كلِّ تلك الفترةِ الماضية الإشارةَ من أخي لتتحرك راجعةً إلى دارِ العريسِ , وكنا في المقابلِ أنا وأخي ننتظرُ خروجَ العروسِ والمرأتينِ كما اشترطنا نحنُ على أهلِ العروسِ .

وصدَّقَ أيها القارئُ أو لا تصدِّقْ , فإنه وبعدَ حوالي 10 دقائق (أي قبل انتهاء المهلة بحوالي 5 دقائق) خرجتِ العروسُ ومعها المرأةُ المحجبةُ التي خرجت معها في المرة الأولى , وكذلك خرجت معها فتاةٌ (غيرُ الأولى) بحجابها وكذا بنقابها , والحمد لله رب العالمين . ولكن كان الأمرُ واضحاً بأن بعضَ أهلِ العروسِ كانوا غاضبين منا ومن تشددنا - أنا وأخي - , ومن علاماتِ غضبهم أن أمَّ العروسِ لم تخرجَ مع ابنتها لتذهبَ معها إلى بيتِ أو دارِ العريسِ (جرت العادة على أن أمَّ العروسِ تذهبُ مع ابنتها العروسِ إلى بيتِ الزوج لتُرجعَ إلى بيتها هي بعد بضع ساعات أو بعد بضعة أيام أو بعد أسبوع كامل) . أعطينا عندئذٍ الإشارةَ للسيارةِ الأولى لتنتقلَ ولتنتقلَ معا بقيةَ السياراتِ وكذا نحن - أنا وأخي - وجميعُ الموكبِ , لناخذَ العروسَ إلى دارِ زوجها .

لم تخرج أمُّ العروسِ مع ابنتها في ذلك اليومِ تعبيراً منها عن غضبها علينا - أنا وأخي - وعن زوج ابنتها الذي أعطانا الضوءَ الأخضرَ لنسيّرَ العرسَ كما نرى نحن ذلك مناسباً .

قلتُ : لم تخرج أمُّ العروسِ (وهي قريبة من قريباتي أنا) مع ابنتها في ذلك اليومِ , ولكنها لحقت بابنتها في الغد بعد أن هدأ غضبُها . والذي أفرحني أكثر في هذه القصة , وما زال يُفرحني حتى اليومِ , أن العريسَ قالَ لعمته (أم زوجته) عندما ذهبت عنده في اليومِ الموالي من العرسِ , قال لها بلهجة حازمة وجادة وقوية وشجاعة وبصوت مرتفع " والله يا عمتي : لو أن عبد الحميد وأخاه تركا زوجتي ولم يأتيا بها إلي بالأمس , والله ما كانت عندئذٍ لتدخلَ بيتي إلى يوم القيامةِ !!" .

غضبت أمُّ العروسِ في ذلك الوقتِ علي وعلى أخي وعلى زوج ابنتها ولكنها وبعد أيام قليلة فقط سكن غضبُها , وتحول غضبُها علي وعلى أخي .

34- أقصر مدة "حنة" للعروس في عُرس من الأعراس ! :

أنا أظن أن مواعيد النساء غير مضبوطة خاصة في مناسبات الأعراس , ولكون جُل الرجال مغلوبين من طرف النساء خاصة في الأعراس فإن فوضى المواعيد غير المضبوطة تصبح أكثر وضوحا . قلت : مواعيد النساء غير مضبوطة , ومنه فقد تقول لك المرأة " يلزما من أجل فعل (كذا) ساعة واحدة من الزمان " مثلا , ولكنها تبقى معه ساعتين . وقد تقول لك المرأة – زوجة أو أخت أو أم أو بنت أو ... – " أنا الآن آتية معك " , ومع ذلك لن تصل إليك ولن تأتيك بالفعل إلا بعد ربع ساعة أو أكثر أو نصف ساعة أو ... وهكذا قس على هذين المثالين مئات الأمثلة الأخرى المشابهة من مناسبات الأعراس أو من غيرها .

في يوم من الأيام – حوالي 1990 م - كنت أنا وزوجتي مدعوين إلى عُرس من الأعراس , من طرف أهل العريس , وكنا مدعوين عشية ذلك اليوم للذهاب إلى بيت العروس من أجل " الحنة " للعروس في تلك الليلة , قبل أن نذهب في الغد للإتيان بالعروس إلى بيت زوجها . ولما كان أهل العريس أعطوني – مع بداية العرس- أنا وزوجتي المسؤولية الكاملة على مراقبة العرس من أجل تخليصه من بدع ومحرمات الولايم الكثيرة والمنتشرة في أغلب أعراس الناس اليوم أو في ذلك الوقت (زوجتي على مستوى النساء وأنا على مستوى الرجال) , وكذا من أجل مراعاة النظام العام في العرس . طلبت من زوجتي أن تستشير النساء عن الموعد المناسب لـ " الحنة " ذهابا وإيابا , ولكنني طلبت منها أن تؤكد لهن بأن الموعد بعد أن يُضبط , يجب أن يُحترم , وبأننا لن نقبل أي تسيب أو فوضى في الموعد . اتفقت النسوة على أن يكون الموعد 10.00 ليلا (ذهابا) , والواحدة صباحا (إيابا) . ذهبت أنا وحوالي 5 رجال و 6 نسوة قبيل العاشرة ليلا إلى بيت العروس . قضيت أكثر من ساعتين ونصف أنا ومن معي من رجال أهل العريس مع أهل العروس من الرجال , قضينا هذه المدة مع دردشات وتعارف ونكت , وقدمت للحاضرين نبذة عن أحكام الإسلام وآدابه وأخلاقه و... المتعلقة بالزواج والأعراس , ونبهت نفسي والحاضرين إلى جملة من النصائح والتوجيهات المتعلقة بالأعراس والولايم في الإسلام , وأوصيت الرجال بالنساء خيرا والرجل بزوجه خيرا , وأكلنا وشربنا و... وعند الساعة 12.45 (بعد منتصف الليل) بلغت لزوجتي حتى تُنبة النسوة إلى أنه لم يبق لهن إلا ربع ساعة فقط , وقلت لزوجتي " عند الواحدة بالضبط , أنا أريد أن أراك جميعا خارج حجرة العروس حتى نرجع إلى بيت أهل العريس كما هو نص الاتفاق بيني وبينكن " . قالت لي زوجتي " أنا أطلب منهن ذلك منذ حوالي ساعة , ولكن العروس مازالت لم تخرج إليهن بعد , ومنه فلربما لم تنته " الحنة " إلا حوالي الساعة الثانية صباحا " !.

قلت لها " قولي لهن : أنا أنتظرُكن حتى الواحدة صباحا بالضبط , ووالله سأنتلق أنا ومن معي – راجعين- على الساعة الواحدة بالضبط , سواء وضعتن الحنة للعروس أم لا , وسواء زينتن العروس بهذه " الحنة " أم لطحنتن فقط بها , ولن أنتظر بعد الواحدة صباحا ولو دقيقة واحدة , حتى ولو كلفني هذا أن أتركهن هنا هذه الليلة في بيت أهل

العروس على خلاف الاتفاق الذي تمّ بيننا ". وصدّق أيها القارئ أو لا تصدّق , إنني قلتُ لزوجتي الكلام السابق حوالي 12.47 دقيقة , وعند الساعة 12.59 دقيقة بالضبط كانت زوجتي مع كل من كان معها , كنّ خارج بيت أهل العروس ينتظرني أنا ومن معي من الرجال . وعندما وصلتُ إلى بيت أهل العريس والتقيتُ بزوجتي وخلوتُ بها ضحكاً زوجتي طويلاً وقالت لي " والله أنا أعتبر ما وقع هذه الليلة نكتة : ظاهرها مُقلق ولكنّ باطنها مُضحكٌ للغاية . لقد كانت الحنة سريعة جداً إلى حد أنها يمكنُ أن تُدرج ضمنّ الأرقام القياسية في مناسبات الأعراس , لأنها تمت في حوالي 3 دقائق فقط . وكان نصفُ الحنة زينة للعروس ونصفها الآخر تُلطيخا لها , والنساء استأنّ في البداية من هذه الحنة السريعة ولكنهن ضحكنّ وضحكن كثيراً في النهاية - بمن فيهن العروس وأهلها من النساء - لأنهن رأين أن هذه الحنة لطيفة وطريفة في نفس الوقت . وعندما كنا راجعات في السيارة كانت النسوة من أهل العريس يشعُرن - في بداية الأمر - ببعض الحرج من تشددك معهنّ , ولكنهن قلنّ قبل نزولنا من السيارة [ومع ذلك يا ليت كلّ الرجال يتشددون مع النساء في مثل هذه الأمور حتى يعمّ النظام في الأعراس وتتقلصُ فيها الفوضى] ."

35- كل بني آدم خطاء :

بداية أقول :

1- لكل واحد منا نقاط ضعفه ونقاط قوته , ولا يليق بأحدنا أن يسخر من آخر على اعتبار أنه أقوى من الآخر إيمانياً ... الله وحده أعلم بمن هو أقوى , وبمن هو أفضل عنده سبحانه وتعالى , وبمن يختم الله له بالخير .

2- لا أمان في هذه الدنيا ولا أمن من مكر الله تعالى ... حتى " ولو كانت إحدى رجلاي في الجنة والأخرى ما زالت خارجها , ما آمنت مكر الله " كما قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه .

3- " كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ". اللهم اجعلنا من التوابين .

4- كل واحد منا مطلوب منه أن يفعل ما هو سهل ويسير عليه , ولكن يجب عليه في المقابل أن يجاهد نفسه فيما هو صعبٌ عليه ليتغلب عليه مع الوقت , وذلك لأن الأجر عند الله يكون أكبر كلما منعنا أنفسنا (لله) مما ترغّب فيه أنفسنا أكثر ... فمن كان قيام الليل عنده سهلاً وكانت نفسه متعلقة جداً بالمال , عليه أن يقوم الليل مادام سهلاً ويسيراً عليه ... وعليه في المقابل أن يبذل جهداً جباراً مع نفسه ليتغلب على شحها وليزكيها بالإنفاق في سبيل الله . أنا (مثلاً) تسهل علي (والحمد لله) الكثير من العبادات , ولا يمكن (أبداً) أن أطمع في مال الغير أو أسرقه بأي شكل من أشكال السرقة ... لو أجد مال قارون كله أمامي ما طمعتُ في شيء منه . ولكن في المقابل أخاف على نفسي (جداً) ومنذ كنت صغيراً من المرأة وفتنتها .

5- من أيام زمان ومنذ كنت في التعليم المتوسط وأنا أتشدد مع نفسي كثيرا في علاقتي بالمرأة , حتى لا أنحرف معها ... ولذلك ومع كثرة احتكاكي بالمرأة (في مجال التعليم الثانوي كأستاذ , وفي مجال التدريس كداعية , وفي مجال الرقية الشرعية كراق , وفي مجال الاستشارات كمرشد ديني , و...) , فإنني قلتُ وما زلت أقول بأن صفحتي مع المرأة بيضاء تماما أو تكاد , والحمد لله رب العالمين , والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

6- ولكن وكما يقال (لكل جواد كبوة أو كبوات) ... وهذه قصة كبوة وقعت لي في بداية شهر ماي 2016 م , حين كنت راجعا من عند بعض أهلي بسكيكدة , إلى مدينة ميله مقر سكني .

مع أنني في الغالب لا أحب أن أجلس بجانب امرأة أجنبية ... كنتُ متشددا جدا في هذا الأمر عندما كنتُ شابا , ولكنني عندما كبرتُ أصبحتُ أتساهل قليلا فيه . أصبحتُ أقبُلُ الجلوس بجانبها عندما أضطر لذلك , وأحاول في المقابل أن أبعد جسدي عن جسدها حتى لا ألامسها ولا تلامسني . في هذه الرحلة (عبر حافلة) من سكيكدة إلى قسنطينة , جلستُ بجانب أجنبية ... وبعد حوالي نصف ساعة وأنا أراجع القرآن الكريم الذي أحفظه كله (والحمد لله) , أحسستُ بأن المرأة التي بجانبني كأنها تعبت وأسندت رأسها على كتفي ... كان الواجب علي أن أبعد كتفي في الحين عن رأسها ولكن نفسي غلبتني فما فعلتُ شيئا من ذلك ... وأنا ما زلتُ حتى الآن لا أدري إن كانت المرأة نائمة بالفعل أم أنها كانت تتناوم فقط . كأنها نامت لدقائق ثم استيقظت وبعد حوالي نصف ساعة نامت مرة ثانية ثم استيقظت ... حدث هذا لمرتين أو ثلاثة (من مدينة سكيكدة إلى قسنطينة) ... وعند المنعرج الذي يؤدي إلى مدينة ميله نزلتُ أنا من الحافلة لأستقل حافلة أخرى تنقلني إلى ميله .

خلال الرحلة من سكيكدة إلى قسنطينة أسأتُ في شيء مع هذه المرأة الأجنبية وأحسنتُ في ثلاثة أشياء أخرى ... أو بتعبير آخر (أسأتُ في شيء ولم أسيء في ثلاثة أشياء أخرى) :

● أسأتُ عندما تركتُ المرأة تسند رأسها على كتفي ... هذا أمر مرفوضٌ وحرام شرعا مهما كانت نية الرجل حسنة أم سيئة .

● ولكنني أحسنتُ في 3 أشياء , أو لم أسيء في 3 أشياء أخرى :

- 1 - كان يمكنني أن أرفع يدي اليمنى فتصبح المرأة لا تسند رأسها فقط على كتفي بل تسند أغلب جسدها على جسدي , ولكنني ما فعلتُ هذا , لأن الأول حرام والثاني أكثر حرمة
- 2 كان يمكنني أن أحرك رجلي اليمنى قليلا لتلامس رجلها اليسرى , ولكنني ما فعلتُ .
- 3 كان يمكنني أن أنظر إلى وجه المرأة ولكنني ما نظرت إلى وجهها قط لا بشهوة ولا بدون شهوة ... وما زلتُ حتى الآن لا أعرف شكل وجهها لأنني ما رفعتُ بصري إلى وجهها ولو لثانية واحدة .

أنا أحكي هذه القصة ضمن وقفات مع ذكريات حسنة أو سيئة , أحكي هذه القصة التي أشير فيها إلى سيئة من سيئاتي لأحدث شيئا من التوازن , لأنني ذكرت الكثير من حسناتي ولكنني أنبه بين الحين والآخر إلى بعض سيئاتي ... أتمنى أن تكون حسنات كل واحد منا أكثر من سيئاته .

اللهم ارزقنا الصواب والإخلاص في القول والعمل .

اللهم غلبنا على أنفسنا وعلى الشيطان .

اللهم اختم الله لنا بالخير .

36- يا ليتهم كانوا أنانيين فقط !

قلت في أكثر من مناسبة وفي أكثر من مكان وزمان وظرف وحال و ... بأن بعض الرجال (بل الكثير) أنانيون في تعاملهم مع المرأة , بحيث يُحبُّ الواحدُ منهم لبنتِ أهله (زوجة أو أما أو بنتا أو أختا أو ...) الشرفَ والعفةَ والعفافَ والحياءَ والأدبَ والخلقَ و... وأما بالنسبة لبنتِ الناسِ أو لبنتِ الغيرِ فإنه يرى أنه لا يلزمها كلُّ ذلكَ حتى تبقى مغفلةً يستطيع أن يلعبَ بها (وبشرفها وعفتها وحيائها و ...) هو أو أيُّ فاجر أو فاسق أو ساقط أو مريض قلب من الناس . إن في هذا السلوكِ من بعض الرجالِ ما فيه من الأنانية وحبِّ الذاتِ لأنهم لو لم يكونوا أنانيين لأحبُّوا لبنتِ الغيرِ نفسَ ما يحبون لبناتهم " **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** " . وفي هذا المعنى كتبتُ منذ مدة موضوعا تحت عنوان " بعض الرجالِ أنانيون مع المرأة " .

ولكنني الآن - وهنا - أقولُ بأنني تمنيتُ لو أن بعضَ الرجالِ بقوا أنانيين , ولكن أنانيتهم تبخرتُ للأسفِ الشديدِ , ولم يبقَ لهم إلا الديائةُ أو ما يشبهُ الديائةَ . والفرقُ بين الأناني والديوثِ هو أن الأنانيَّ حتى وإن لم يحبَّ الخيرَ لبنتِ الغيرِ فهو - على الأقل - يحبُّ الخيرَ لبنتِهِ هو . وأما الديوثُ فإن قلبَهُ ماتَ وإن فطرتهُ فسدتُ , ومنه فإنه أصبحَ لا يغارُ لا على بنتِ الناسِ ولا على بنتِهِ هو .

كنتُ في يومٍ من الأيامِ - منذ سنواتٍ طويلة - وفي عرسٍ من الأعراسِ وفي اليومِ الذي جيء فيه بالعروسِ إلى بيتِ زوجها , كنتُ أقدمُ عشيةً ذلكَ اليومِ , درسا بسيطا (أمام حوالي 40 أو 50 شخصا من أهل العريس) عن المرأةِ في الإسلامِ وعن الزواجِ وأهدافه وعن بدع ومحرماتِ الولائمِ وعن حقوقِ الزوجينِ و... وفي طياتِ الدرسِ قلتُ لمن كان أمامي " أنا الآن أصارحكم بنصيحةٍ ثقيلةٍ جدا ومُحرجةٍ جدا ولكنها مهمةٌ جدا . أقدمُها لكم لأنني أحبُّكم , واعلموا أن الذي يحبكم حقيقةً هو الذي ينصَحكم لا الذي يجاملُكم . أنا اليومَ رأيتُ من البعضِ منكم عجا و قبيحا وسيئا . عندما كانَ أهلُ العريسِ خارجينِ اليومِ من هذا البيتِ ليذهبوا إلى بيتِ العروسِ للإتيانِ بها هنا , كنتُ أراقبُ الأمرَ من بعيدٍ (من

على بعد حوالي 250 مترا) فرأيت نساء خارجات - من هنا - وهن متبرجات وهن في كامل زينتهن وهن لابسات الضيق والشفاف والقصير والمفتوح و ... مع كل الأصباغ على الوجه واليدين . خرجت هؤلاء النسوة من هذا البيت أمامكم أنتم ولا أحد يمنع ولا أحد ينكر مع أنهن زوجات البعض منكم وبنات البعض منكم وأخوات البعض منكم وأمهات البعض منكم " . قلت لهم " كل هذا كان سيئا , ولكن الأسوأ منه والأقبح منه هو " رأيت - من بعيد - البعض منكم واقفين هنا أمام البيت - أي في طريق النساء الخارجات من الدار - والواحد منكم ينظر إلى بنت الرجل الذي يقف إلى جانبه أمام البيت , ينظر إليها النظرة المحرمة ويُقلب النظر إليها من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها . والغريب جدا في هذا الأمر أن هذا الرجل (وهو ينظر إلى بنت من يقف بجانبه) يرى الرجل الآخر ينظر - في نفس الوقت - إلى بنته هو النظرة المحرمة . وعض أن يُنكر على الغير نظرته الحرام إلى ابنته , هو منهمك في النظر إلى ابنة الآخر , وهكذا ... وكان كل واحد من الرجلين - من البعض منكم يا إخوتي - يقول لصاحبه [أنظر أنت على راحتك إلى ابنتي , ولكن اتركني في المقابل أنظر أنا كما أشاء إلى ابنتك أنت !!!] " . وقبل أن أكمل حديثي سألتهم " أليس ما أحكيه عما وقع من البعض منكم اليوم صحيحا ؟! " , فقال البعض منهم " بلى " , وطأطأ البعض الآخر رؤوسهم ساكتين وصامتين , سكوتا يدل على الاعتراف بصواب ما قلت .

قلت لهم في النهاية " يا إخوتي أنا رأيت في حياتي الكثير من المناظر القبيحة ولكنني أشهد أن هذا من أقبح المناظر التي رأيتها في حياتي . يا إخوتي أنا رأيت في حياتي الكثير من المناظر الغريبة ولكنني أشهد أن هذا من أغرب المناظر التي رأيتها . يا إخوتي هذا الذي أتحدث عنه ليس أنانية من البعض منكم ولكنه ديانة والعباد بالله تعالى . والله إن هذا لمنكر وخزي وعار وحرام ولا يجوز , فضلا عن أنه قبيح وغريب وسيء !!! " .

37- بالتعارف الحقيقي يتم التوافق والتفاهم :

ما لم يتعرف كل من الزوجين على حقيقة الآخر , ويتنازل كل منهما من أجل الآخر عن بعض أنماطه السلوكية القديمة حتى يتلاقيا في منتصف الطريق , فلن يتوفر لهما التوافق والتفاهم النسباني . وهذه حقيقة يجهلها الكثير من الشباب أو يتجاهلونها . والتعارف الحقيقي هو الذي يتم بعد الزواج لا قبله . يسأل الرجل عن المرأة قبل أن يطلبها للزواج وتساءل المرأة عن الرجل قبل أن توافق عليه . كل واحد منهما يسأل ثم يسأل أطرافا مختلفة ويلح في السؤال , ثم إذا اطمأن الرجل إلى المرأة وعزم على طلبها فليتوكل على الله وليقبل ولا يتردد . وكذلك إذا اطمأنت المرأة للرجل وعزمت على القبول به زوجها لها فلتتوكل على الله ولتقبل ولا تتردد .

والتعارف الحقيقي هو الذي يتم بعد الزواج لا قبله , وأما من ظن أنه يشبه التعارف الذي يتم قبل الزواج هو قد تعرف وعرف زوجته بالفعل فهو واهم ثم واهم .

وأذكر بالمناسبة أن طالبا جامعيًا تعرف على طالبة جامعية وخالطها في الجامعة وخارجها لسنوات وسنوات (حوالي 10 سنوات) , خالطها وعاشرها بالطريقة التي لا تُرضي الله ولا رسوله , وبالطريقة التي ظن معها أنه عرفها تمام المعرفة وظنت معها أنها عرفتة تمام المعرفة . نصحتُه مرات ومرات من أجل أن يبتعدَ عنها وليكتفيَ بالسؤال عنها من بعيد إن أراد الزواج منها , وأكدتُ له أنه بما يفعل معها هو يعصي الله وهما يكذبان على نفسيهما وهما لن يتعرفا على بعضهما بهذه الطريقة ولو دامت مصادقتهما لبعضهما البعض 20 سنة ... ولكن لا حياة لمن تنادي , لأن النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان وكذا الشهوة الطاغية هي التي كانت تحكم وليس الشرع ثم العقل .

وبعد سنوات وسنوات أذن الله وتزوج الطالبُ بالطالبة ... ثم بعد حوالي سنة ونصف من الزواج طغت الخلافات بين الزوجين ووقعت لهما مشاكل ومشاكل , وظن الزوجان أن بهما سحرا أو جنا أو عينا فطلباني من أجل الرقية الشرعية لهما ولدارهما . ولما جلستُ معهما وسمعتُ تفاصيلَ عن حيا تهما الزوجية الحاضرة والسابقة غلب على ظني أنه ليس بهما أي سحر أو عين أو جن , وأن مشكلتهما الأساسية والحقيقية أنهما قبل الزواج كانا يظنان أن كل واحد منهما يعرف الآخر حق المعرفة , ولكنهما بعد الزواج فوجئا بالعكس تماما , أي بأن كلا منهما لا يكاد يعرف عن الآخر شيئا , فوقع بسبب من ذلك الاختلاف والتصادم .

ولما أخبرتهما برأيي هذا قال لي كل منهما " صدقتَ . الآن فقط وبعد حوالي 12 سنة من تعرفنا على بعضنا البعض في الجامعة , الآن فقط علمنا وتيقنا أننا لم نعرف بعضنا البعض أبدا قبل الزواج , وأن الكذب والتكلف والاصطناع هو الذي كان يسود بيننا حتى تزوجنا " .

نصحتُهما عندئذ بـ :

- 1-وجوب تعرف الرجل على طبائع النساء عموما وعلى طبائع زوجته خصوصا , ووجوب تعرف المرأة على طبائع الرجال عموما وعلى طبائع زوجها خصوصا .
- 2-استعداد كل من الزوجين للتنازل عن البعض من حقوقه من أجل الآخر .
- 3-حرص كل زوج على أن يُحسن إلى الآخر ما استطاع لوجه الله أولا .
- 4-ضرورة التفريق – فيما بينهما - بين حقوق الله وحق الواحد منهما , بحيث يُطلب من كل منهما التشدد فيما يتعلق بتقصير الآخر في حقوق الله , وفي المقابل يُستحب من كل منهما التساهل فيما يتعلق بتقصير الآخر في حقوقه هو .
- 5-وجوب تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى أكثر من تعاونهما على اكتساب الدنيا ومتاعها الزائل .

6-حتى إذا قصر الزوجان في مستحبات ومع مكروهات , لا يجوز لهما أبداً في المقابل أن يقصرا بارتكاب محرمات أو بالتكاسل في تأدية واجبات شرعية .

ثم تركتهما وانصرفت . وفقني الله وإياهما لكل خير , آمين .

38- لو كان خوفه من الله أكبر , لكان ذلك أفضل له ! :

في يوم من الأيام , ومنذ سنوات , وقبيل عرس من الأعراس لأخ لي من الإخوة في الإسلام , سألتني العريسُ عن رأيي في خروجه هو مع عروسه يوم العرس من بيتها إلى بيته هو , بحيث يُخرجها هو من بيتها (عوض أن تُخرجها امرأتان كما جرت العادة عندنا منذ مئات السنين) ويدخل معها إلى السيارة الأولى في موكب العرس , ويقضي كلَّ المسافة بين البيتين وهو معها في السيارة : يتحدث إليها ويمسها ويأخذ صوراً معها في أماكن معينة (في الغابة أو بجانب البحر أو...) وأمام الناس , وعندما ينزل من السيارة يأخذها ويقودها بيده حتى يوصلها إلى بيته هو ثم يتركها هناك حيث تستقبلها النساء . سألتني " ما رأيك !؟ " , فقلتُ له " أنا لن أقول لك : حلالٌ أو حرام , ولكنني أقول لك بأنني لا أحب هذا السلوك أبداً لمن أحبُّ من الناس , وأنا لذلك لا أحبه لابني ولا لقريبي ولا لجاري ولصهري ولا لأي كان من الناس الذين أحبهم وأحب لهم خير الدنيا قبل الآخرة . أنا أعلنُ هذا منذ كنتُ صغيراً وقبل أن أتزوج أنا بسنوات وسنوات . أنا لا أحب هذا بالدرجة الأولى , لأنني أرى أنه ضد أبسط مقتضى من مقتضيات الحياء . وإذا كانت هذه العادة قد انتشرت كثيراً في أوساط شباب وفتيات الجيل الجديد , فليس معنى هذا أنها عادةٌ حسنة . إن القبيح يبقى قبيحاً مهما أقبل عليه الناسُ وإن الحسن يبقى حسناً مهما هجره الناسُ".

وكان الشخصُ الذي سألتني ينوي أن يُطبق ما نصحتُه به , ولكن يبدو أن البعضَ من أصحابه وأصدقائه غلبوه أو أن العاداتِ والتقاليدَ المعوجة أثرتُ عليه تأثيراً بالغَ فخضعَ وسلّمَ واستكانَ . ومنه فبعد أيام احتفل هذا الشخصُ بزواجه وبوليّمته وبعروسه , وعندما توجه الموكبُ ليأتي بزوجته أو عروسه كان هو راكباً في السيارة الأولى , في الخلف . وعند الرجوع أخرج عروسه من بيتها وفعل ما سألتني عنه وما أخبرته أنا بأنني لا أحبه . ولم أكن أنا أعرف بأنه خالف , ولكنني ظننتُ أنه سمع نصيحتي وعمل بها . وعندما وصل موكبُ العرس أمام بيت العريس وجدني العريسُ مع بعض المدعوين أمام بيته . فوجئتُ أنا وفوجئ هو . أما أنا فإنني فوجئتُ عندما رأيتهُ جالساً في السيارة الأولى (المزينة بالورود والأزهار) مع عروسه , وكان يهم بالخروج معها ليوصلها حتى إلى باب بيته . ومع أنني فوجئتُ فإنني قلتُ في نفسي " المهم أنني نصحتُه , وما على الرسول إلا البلاغ , وكل واحد منا فيه خيرٌ وشر , وليس منا معصوم عن الخطأ أو الخطيئة , ولا معصوم عن الخطيئة إلا الأنبياءُ والرسل عليهم الصلاة والسلام " . وأما هو فإنه فوجئ لأنه ما كان يتوقع أن يجدني أمامه هنا وخاصة في هذا الوقت بالذات وفي هذا المكان بالذات . أنا أسلمُ كلَّ التسليم بأن الله أحقُّ من أي بشر أن يُخشى وأن يُخاف . ومع ذلك فإنني أعتقدُ بأن من يحترمُ الناسَ عموماً والمتدينين خصوصاً ويستحي

منهم , هو أفضل بكثير , وأفضل مليون مرة من المُجاهر بالمعصية الذي لا يخاف الله ولا يحترم عباده المؤمنين , كما أنه وإن راعى اليومَ البشرَ وأستحى منهم فإن هناك احتمالا كبيرا في أن هذا الحياء من البشر سيقوده غدا أو بعد غد بإذن الله إلى الحياء من الله عزوجل وإلى الوقوف عند حدوده تبارك وتعالى . هذا أمرٌ مهمٌ أوكدُ عليه كثيرا .

أنا لم أكملُ القصةَ . قلت : عندما رأني العريسُ أمامه , حيث لم يتوقع , وقعَ منه عندئذ ما لم يُتوقع . بمجرد رؤيته لي نزل من السيارة من الجهة الأخرى المقابلة للجهة التي نزلت منها عروسه , وترك عروسه بسرعة فائقة واختفى عن الأنظار . ترك عروسه تبحثُ عنه ولكنها لما لم تجده , جرتُ إليها امرأتان فأسعتها وقادتاها حتى أدخلتاها إلى بيتِ الزوج . وقع هذا بطبيعة الحال على خلاف المتفق عليه بين الزوج وعروسه وبين الزوج وأهله كذلك . وقع هذا الاختلالُ ووقعت هذه المخالفةُ للاتفاق , بسبب رؤيتي للعريس في الوضع الذي لا يريدني أن أراه عليه .

وكان من نتيجة هذا الذي وقع من العريس حين تخلى عن عروسه أن استاء شخصٌ وتعجب آخرون . أما العروسُ فإنها استاءت و غضبت على زوجها , لأنه تخلى عنها فجأة وبدون أن يفهمها لماذا فعل ذلك ؟ .

وأما من تعجبَ فهم عامة المدعويين من أهل العريس أو من أهل العروس الذين لم يفهموا لماذا ترك العريسُ عروسه فجأة في الوقت الذي لا يليق به أن يتركها فيه ؟ . ولم يعرف الجواب على " لماذا ؟ " إلا أنا والقليلون من الأشخاص , وهم الذين سمعوا العريسَ قبل أيام يسألني وسمعوا ما أجبتُه به . وكان موقفُ هذا الأخ العريسِ مع عروسه حين تخلى عنها بهذه الطريقة السريعة وفي الوقت غير المناسب وبدون سبب مفهوم من أغلب الناس , كان نكتة عند أغلب من علم السبب وكذا عند من لم يعلم السبب . كان الموقفُ نكتة طريفة بالنسبة لهؤلاء , ولكنه كان بالنسبة للعروس ذكرى سيئة يمكن أن لا تنساها طيلة حياتها .

ومع ذلك فأنا أقول في النهاية بأن هذا الأخ الكريم والعزيز رجلٌ طيبٌ بشكل عام وبأن امرأته مباركة بإذن الله , هكذا أحسبهما والله حسيبهما ولا أزكي على الله أحدا . وأنا أسأل الله أن يغفر لهما وأن يرحمهما وأن يبارك لكل منهما في الآخر وأن يجمع بينهما في خير , آمين .

39- عيب يا أختي الفاضلة ...:

اتصلت بي (عام 2009 م) امرأة (من ولاية من ولايات الجزائر) من خلال الهاتف من أجل رقية شرعية مستعجلة . قلت لها " من أجل من , ومن أجل ماذا ؟! " , قالت " من أجل أخي , الذي لم يقض حاجته في هذه الليلة (ليلة دخوله على زوجته) من زوجته " .

سألتها " ولماذا لم يتصل هو بي عوضا عنك أنت ؟! " , قالت " هو مشغول , وهو يستحي كذلك "!!! .

فنبهتها عندئذ بلطف وعنف في نفس الوقت , نبهتها إلى أنه مقبول منها أن تتدخل من أجل أخيها بسبب مشكل آخر , وأما بسبب أن أباها لم يقض حاجته من زوجته فغير مقبول منها أبداً أن تتدخل من أجله خاصة وأنه كبير وأنه رجل وأنه متزوج , والمفروض فيه أنه هو الذي يبحث عن حلول لمشاكله ومشاكل أهله من النساء , لا أن تبحث له أخته عن حل لمشكلته هذه بالذات , والمطلوب أن تستحي هي لا أخوها . ثم قلتُ لها " ما تفعلينه أنت هنا يا أختي الفاضلة أنا لا أقول عنه بأنه حرام أو مكروه , ولكنني أقول بأنه عيب وأنه غير مقبول ولا مستساغ , وأنا لا أحبه أبداً لأختي أو زوجتي أو ابنتي أو أمي أو لأية امرأة من أخواتي في الإسلام الطيبات " .

ثم أضيف هنا لمن يقرأ لي , أضيف فأقول :

- 1- الكثير من الناس تعودوا على أفعال أو أقوال هي في حقيقة أمرها حرام أو مكروهة , أو هي عيب أو لا تليق , أو هي تخالف الأدب والذوق السليم أو ... ولكن هؤلاء الناس تعودوا عليها حتى أصبحت عندهم أمورا عادية وطبيعية .
- 2- أن تسأل المرأة عن دينها , فهذا حق من حقوقها سواء كانت زوجة أو أما أو بنتا أو أختا . هذا حق من حقوقها , حتى ولو تعلق الأمر الذي تسأل عنه المرأة بمسائل الجنس والمعاشرة الزوجية . هو حق من حقوقها ما دامت المرأة تريد معرفة الحلال والحرام أو تبحث عن علاج لمرض ما أو تريد حلا لمشكلة معينة .
- 3- لو كانت مشكلة الرجل هي مشكلة أخرى لا علاقة لها بالجنس والمعاشرة الزوجية , فإن بحث أو سعي المرأة من أجل حل مشكلة أحد محارمها من الرجال يصبح أمرا مشروعاً ومقبولاً ومستساغاً ومفهوماً , ولا علاقة له بالحرام ولا بالعيب . وأما أن تبحث المرأة المحترمة لنفسها والمحترمة من غيرها , أن تبحث بنفسها عن حل لأخيها أو أبيها أو ابنها أو ... الذي لم يقض حاجته من زوجته ليلة دخوله عليها , فهذا أمر غير مقبول ولا مستساغ البتة , وهو عيب , وهو مناف للذوق السليم وكذا لمقتضيات الحياء المطلوب من الرجل , والمطلوب أكثر ومن باب أولى من المرأة .
- 4- وحتى عندما تبحث المرأة عن حل لمشكلتها هي بالذات , فالأفضل - ذوقاً وشرعاً - أن لا تطلب هي بنفسها الراقي , بل زوجها أو أحد محارمها الرجال هو الذي يستحسن أن يطلب الراقي عوضاً عنها هي , وخاصة عندما تكون مشكلة المرأة لها علاقة بالمعاشرة الزوجية .
- 5- وأذكر بالمناسبة أن عشرات النساء والفتيات اتصلن بي في سنوات ماضية (منهن تلميذات أو طالبات) من أجل حل مشكل مثل هذا , وأذكر أنني أقول لهن دوماً نفس الكلام ,

وأرفض دوما وأصر على الرفض , أرفض أن أساعد على إيجاد أي حل لهذه المشكلة سواء عن طريق النصيحة والتوجيه أو عن طريق الدفع لاستشارة طبيب أو عن طريق رقية شرعية للرجل أو للمرأة أو لهما معا , أرفض وأصر على الرفض ... ولا أقبل إلا أن يتصل بي المعني الأول وهو الزوج , أي الرجل لا المرأة . ثم لا بأس بعد ذلك إن كان حل المشكلة يتطلب مقابلة زوجته , لا بأس أن يأخذني الزوج إلى زوجته أو يأتيني بها لأنصحها أو لأرقبها .

والله وحده الموفق والهادي لما فيه الخير , وهو وحده الشافي أولا وأخيرا .

40- " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه , وإنهم لكاذبون " :

قال لي أخ فاضل وكريم من الإخوة , قال لي في الأيام الماضية , ونحن راجعون من بيت أستاذ زميل لنا مات منذ أيام قبل ذلك اليوم . قال لي " أنا أجد صعوبة في فهم كيف يمكن أن يوجد عباد في الدنيا كلها ينطبق عليهم قول الله تعالى " **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه , وإنهم لكاذبون** " . كيف يمكن أن يرى أشخاص عذاب الله تعالى أمامهم يوم القيامة , يرونهم جزاء معدا لمن كفر أو عصى أو تكبر وتجبر , ومع ذلك إن أعادهم الله إلى الدنيا فإنهم سيعودون إلى ما كانوا عليه من قبل , أي يعودون إلى بطر الحق وغمط الناس , أو إلى الكفر أو الشرك أو النفاق , أو إلى التعدي والظلم والإساءة أو ... كيف يمكن أن يكون ذلك؟! "

فرددتُ عليه بكلام طويل منه ما يلي :

- 1- هناك صعوبة في فهم هذا من جهة ولكن هناك سهولة في فهمه من جهة أخرى .
- 2- الآيات الواردة في هذا الموضوع هي " **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل , ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** " .
- 3- ما قاله الله وما قاله رسول الله لا يمكن أن يتناقض مع علم صحيح أو مع عقل سليم , ولكن قد لا يدرك العقل بعضه , وذلك لأن هناك فرقا واضحا وكبيرا بين ما يتناقض مع العقل وما لا يدركه العقل .
- 4- حلاوة الدنيا ومتاعها الزائل تُعمي الناس أحيانا وتصدهم عن معرفة الحق أو اتباعه .
- 5- يجب أن نسلم بأن كل ما قاله الله صحيح وبأن كل ما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام سليم , ثم بعد ذلك لا بأس أن نحاول أن نفهم ما قال الله ورسوله أو نفهم العلل

والحكم والأسباب و ... وأما أن يقول الواحد منا " لا أسلم بشيء من الدين إلا بعد اقتناعي به " , فهذا شأن الكفار وليس شأن المسلمين المؤمنين .

6- سهل جدا أن نفهم كيف أن الإنسان يمكن أن يعود إلى معصية الله من جديد إن أتاحت له الفرصة للعودة إلى الحياة الدنيا مرة أخرى , بدليل أن الناس يرون الموت أمامهم في كل يوم , وبعضهم يرى أباه وأمه وأخاه وأخته وابنه وابنته و ... يموتون أمامه , ومع ذلك هو بعد الدفن (أو قبله) مباشرة , هو راجع إلى الدنيا وإلى مبارزة الله بالمعاصي والذنوب والآثام وكأنه لم ير الموت أمامه قبل قليل فقط .

وهذا أمر ملاحظ ومشاهد في كل حين وأن .

7- سهل جدا أن نفهم كيف أن الإنسان يمكن أن يعود إلى معصية الله سبحانه من جديد إن أتاحت له الفرصة للعودة إلى الحياة الدنيا مرة أخرى , كما قال الله تعالى " **ولو رُدوا لعادوا لما نهوا عنه , وإنهم لكاذبون** " , بدليل أن هناك الكثيرين من الناس يبلغ الواحد منهم ال 70 أو ال 80 أو ال 90 من عمره وهو ما زال مصرا على مبارزة الله بالكبائر بالليل والنهار ومع سبق الإصرار والترصد .

وأذكر هنا وبهذه المناسبة رجلا (نرض أن اسمه خالد) عمره حوالي 50 سنة له زوجة وأولاد , جاءني منذ حوالي عامين مع أبيه (عمره حوالي 85 سنة) . جاءني خالد من أجل أبيه الذي يقضي في كل أسبوع حوالي 3 أيام في دار امرأة مطلقة يزني بها وكأنها زوجته , وبقية ال 4 أيام يقضيها أبو خالد مع أهله وكأن شيئا لم يحدث .

طلب مني خالد أن أرقى أباه لعله مسحور من طرف هذه العاهرة , ولكن وبعد أن حكيتُ مع أبيه وسمعت منه ثم رقيته عرفتُ أن أمره لا علاقة له بالسحر لا من قريب ولا من بعيد , وإنما هي شهواته وأهوائه وشيطانه التي تركها تستولي عليه إلى درجة أنه أصبح كالمجنون – والعياذ بالله - وهو ليس مجنونا .

أفهمتُ خالدا بأن أباه يحتاج لمن ينصحه لا لمن يرقيه , وأنه هو محتاج إلى إرادة قوية وإلى عزيمة جبارة من طرفه هو من أجل التغلب على نفسه والتوقف في الحين عن الزنا . نصحتُ الأب بما يناسب خلال حوالي 45 دقيقة , ثم أوصيتُ خالدا بجملة نصائح يمكن أن يتبعها مع أبيه لإعانتته على الشيطان والنفس والهوى .

ولكن وللأسف : بعد بضعة أسابيع اتصل بي خالد عن طريق الهاتف وأخبرني بأن أباه ما زال على حاله من الفسق والفجور والعصيان , وما زال على الزنا بالمرأة المطلقة لأيام عدة في كل أسبوع يسافر من أجلها حوالي 75 كيلومترا , وما زال الرجل الهرم

يبارز الله بالمعاصي وهو شيخ اقترب عمره من ال 90 سنة , وهو شيخ أصبح قاب قوسين أو أدنى من القبر والموت .

أسأل الله لي ولكم جميعا حسن الخاتمة .

41- يا ليتنا اتخذناهن صديقات :

اهتمامنا – نحن الرجال – بالذكور من أهلنا وأقاربنا هو اهتمام فطري قبل أن يكون واجبا شرعيا , وذلك لأننا ذكور وهم ذكور , أي لأننا وإياهم من جنس واحد . ومنه فإن اهتمام الواحد منا بأولاده الذكور وبأولاد إخوته وأخواته و... هو اهتمام طبيعي جدا وللغاية ... هو عبادة لنا عليها أجر ... وهو عبادة فيها ما فيها من خير مادي ومعنوي , دنيوي وأخروي .

ولكن الذي نحن مقصرون فيه أكثر وعادة هو اهتمامنا بالإناث من بناتنا ومن محارمنا الأخريات من النساء مثل بنات الإخوة وبنات الأخوات . يا ليت الواحد منا – معاشر الرجال – يولي اهتماما خاصا ببناته وبنات الإخوة وبنات الأخوات ... يا ليت الواحد منا يتخذهن صديقات , فيستفيد من جهات عدة :

- 1- أجر زائد عند الله .
- 2- توثيق الصلة بهن .
- 3- ينفعهن وينتفع بهن .
- 4- يُروح عن نفسه وعنهن .
- 5- كما تهتم أنت بهن سيهتم أبُ الواحد منهن بإذن الله ببناتك أنت .

وهكذا ...

ثم إذا أردنا لهن أن يُحِببننا يجب أن نحبهن نحن أولا , وهذه قاعدة عامة في الحياة كلها : إذا أردت أن تُحَبَّ يجب أن تُحِبَّ أنت أولا , وكذلك مع الله جل وعلا " إن أردت أن يحبك هو سبحانه يجب أن تحبه أنت أولا " , وهكذا ...

وبالمناسبة أقول :

كنتُ في يوم ما عند أخت لي (ضمن 4 أخوات كلهن متزوجات ولهن أولاد وبنات) . وكانت عند أختي ضيفة هي بنت أخت أخرى كانت تدرس في الجامعة , وجاءت في ذلك اليوم عند

أختي أي عند خالتها عندما سمعت بأنني سأزور أختي وأبيتُ عندها , فجاءت هي لكي تزور خالتها ولتلتقي بي أنا (خالها) .

وفي ذلك اليوم كنا ساهرين مع بعضنا البعض بعد العشاء مع الحديث عن بعض المسائل الدينية ومع السؤال عن الأحوال ومع بعض الترفيه الحلال و ... وفي لحظة من اللحظات طلبتُ أكلا بسيطا من أختي , فطلبت بدورها من ابنتها وابنة أختها (طالبتان جامعتان) أن يأتينني من المطبخ بما طلبتُ . ذهبنا إلى المطبخ وبعد دقيقة أو دقيقتين سمعتُ أنا وأختي ومن كان معنا من أهل أختي ضجيجا بسيطا وأصوات حركات غير عادية , فذهبت أختي مهرولة إلى المطبخ لتستطلع الخبر ثم رجعت مبتسمة . قلتُ لها " ما الأمر ؟! " , قالت " ابنتي وابنة أختنا يتعاركان كلاميا , عن محبتك أنت أخي عبد الحميد لهما : أيهما تحبها أنت أكثر ؟! . كل واحدة منهما تدعي للأخرى بأن خالها عبد الحميد يحبها هي أكثر "!

جاءت الفتاتان وهما تضحكان , فقلتُ لهما " أنا أحبكما بإذن الله بنفس القدر أو أكثر " .

نسأل الله أن يقوي من صلتنا ببعضنا البعض , وأن يزيد من محبتنا لبعضنا البعض , وأن يجعلنا جميعا من أهل الخير , آمين " .

42- قالت لي " هذا فقط - يا أستاذ - مظهر احترام منا لأزواجنا ! " :

من مظاهر التقليد الأعمى للغرب (أوروبا وأمريكا) الكافر , وكذا التبعية الصماء للكفاء للشرق الملحد (روسيا) في المجتمعات الإسلامية اليوم , استيراد القوانين في الاقتصاد والاجتماع والسياسة و ... منهم , عوض الرجوع إلى الإسلام ومناهجه العادلة في شتى المجالات الدينية والدينية . ومما أخذه المسلمون من الكفار من قوانين ما هو منصوص عليه عندنا في الجزائر من أن المرأة بعد أن تتزوج تدوب في زوجها ويلغى لقبها حيث يصبح لقبها هو لقب زوجها . وتبقى كذلك من اليوم الذي تتزوج فيه إلى أن تموت .

في يوم من الأيام كنتُ أتحدث مع بعض الأستاذات في الثانوية التي أدرس بها , كنتُ أتحدث معهن عن بعض المسائل الدينية , حتى وصلتُ إلى الحديث عن أنه لا يجوز شرعا أن تُنسب المرأة المتزوجة إلى زوجها بعد أن تتزوج , لأن هذا تقليدٌ للأجنبي الكافر , كما أن هذا ظلمٌ للمرأة وهضمٌ لحق من حقوقها وإساءةٌ لشخصيتها . قالت لي أستاذة من الأستاذات كلمة لم توافقها عليها سائر الأستاذات الأخريات اللواتي كن جالسات معها , كما أظن أنها هي نفسها لم تكن مقتنعة بما قالت لي . قالت " يا أستاذ هذا فقط مظهر من مظاهر احترام الواحدة منا لزوجها القوام عليها "!!! قلتُ لها " يا أستاذتي الفاضلة . أنا لا أوافقك في شيء مما قلت . هذا فقط تقليد منا للكفار ليس إلا , وهذا التقليد لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد باحترام المرأة أو تقديرها لزوجها , كما أنه لا علاقة له أبدا بقوامة الرجل على زوجته . لا دليل لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من القياس ولا ... على أن من تمام قوامة الرجل

على زوجته أن تذوب في زوجها بعد الزواج وتفقد لقبها إلى أن تموت . وأما أنه مظهر احترام من المرأة لزوجها فهو غير مقبول البتة . ثم أليس الرجل كذلك مطلوب منه في ديننا أن يحترم المرأة , فلماذا إذن لا يلغي الرجل لقبه بعد الزواج ليذوب هو بدوره في زوجته , أم أن الاحترام لا يستحقه إلا الرجل فقط , وأما المرأة فلا تستحق أي احترام؟! .

جاءتني امرأة من سنوات , تطلبني من أجل رقية , بعد أن أخبرتني بأن زوجها يعرفني وبأنه هو الذي أرسلها إلي مع أخيها لأرقئها . وقبل أن أعطيها موعداً من أجل الرقية طرحتُ عليها بعض الأسئلة منها " ما هو لقبك؟" . قالت " كذا " , وذكرت لقبَ زوجها , فقلتُ لها " ما هو لقبك أنتِ ؟ " , فذكرت لي لقبَ زوجها للمرة الثانية . قلتُ لها " أنا أسألك يا هذه عن لقبك أنتِ لا عن لقبِ غيركِ ؟ " , فذكرت لي لقبَ زوجها للمرة الثالثة . قلتُ " ما زلتُ ألح على السؤال وأنتِ ما زلتِ تصرين على أن تذكرني لي لقباً غير لقبكِ أنتِ؟! " , فقالت لي بصوت مرتفع " لقبِي يا أستاذ هو كذا " , وذكرت لي لقبَ زوجها للمرة الرابعة . عندئذ قلتُ لها " يا امرأة أنا لا أسألكِ عن لقبِ زوجكِ , وإنما أنا أسألكِ عن لقبكِ أنتِ وعن لقبِ إخوتكِ وأخواتكِ وعن لقبِ أبيكِ . ما هو لقبكِ للمرة الأخيرة؟! " , فقالت أخيراً " آه , اعذرني واسمحي يا أستاذ , لأنني فهمتُ منك بأنك تسأل عن لقب زوجي . آه لقبِي أنا ... لقبِي أنا ... لقبِي أنا ... " , وبقيت تفكرُ في لقبها ما هو؟! , ثم قالت بعد أن وجدتهُ " لقبِي هو كذا " !!! .
وشر البلية ما يُضحكُ أو يُبكي كما يقولون .

43- عن زيارة الزوجة لأهلها :

أنا هنا – وبالمناسبة – أحكي عن نفسي أمراً له صلة بهذا الموضوع .

لقد مر علي زمان , وبالضبط مع السنوات الأولى من زواجي الذي تم في جويلية 1984 م (السنوات الأخيرة من الثمانينات) , كانت زوجتي تستأذن مني أن تزور أهلها , فأذنُ لها , وأقول لها – بعد التشاور معها – " إرجعي اليوم أو غداً أو بعد غدٍ أو ... " . ولكن لشدة تعلقي بها , خاصة في السنوات الأولى من بعد الزواج , حيث الزوج أصبح مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بزوجه , والزوجة مازالت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأهلها .

قلتُ : لشدة تعلقي بها , كنتُ آذنُ لها وأقول لها " إذهبي ... " , وأنا متردد كل التردد , والدموع تكاد تنهمر من عيني . تلاحظ زوجتي علي ذلك , وتسالني وهي تعرف الجواب مسبقاً " ما بالك مترددا؟! . هل أذنتَ لي بالذهاب عند أهلي أم لا؟! . هل تريدني أن أبقى هنا عندك ولا أذهب اليوم أم لا؟! " .

قلتُ " تسألني وهي تعرف الجواب مسبقاً " , لأن الحقيقة أنني أذنتُ لها , ولكن لشدة تعلقي بها

أنا متردد :

- 1- أنا أريدها أن تذهب عند أهلها , لتؤدي واجب الصلة لرحمها , ولتُريح وترتاح .
- 2- ومن جهة أخرى أنا أريدها - لنفسى أنا - أن تبقى عندي (في بيتي) ولا تغيب عني وعنه .

وكنْتُ في الغالب أُغلبُ مصلحتَها على مصلحتي أنا , فأجيبها في النهاية " إذهبي ... " , وفي القليل من الأحيان أُغلبُ مصلحتي وأنايتي أنا , فأقول لها " إبقى هنا اليوم , وستذهبين إلى أهلك في يوم آخر بإذن الله تعالى " .

44- بين مراعاة الدين والجمال في اختيار الزوجة :

عندما أردتُ أن أتزوج في صيف عام 1982 م , لم أسأل أبدا عن الجمال , وإنما سألتُ فقط عن الدين وعن الدين فقط . سألتُ بعض الأصدقاء من مدينة ميلة حيث علّمتُ بثانويتها عام 1978 - 1979 م- , سألتُ عن امرأة :

- 1- متدينة .
- 2- لا تعمل خارج البيت.
- 3- ومثقفة ثقافة متوسطة .

ولم أذكر الجمال لا من قريب ولا من بعيد . قيل لي " أطلب أختَ تلميذك فلان (الذي درس عندك منذ عامين) , فإنها بنت حلال وبنت عائلة طيبة ومحترمة , وهي لا تعمل , ومستواها هو السنة 3 ثانوي" . قلتُ " نعم سأطلبها من أهلها بعد أيام قليلة عن طريق البعض من رجال ونساء أهلي " , قيل لي " أطلب صورتها من أخيها " , فقلتُ " لا أريد الصورة " , فقيل لي " نتحايل لك - تحايلا جائزا - ونريك هذه الفتاة في وقت من الأوقات , عندما تخرج من بيت أهلها أو عندما تكون داخلة إليه " , فقلتُ لهم " لا أريد ذلك , لأن الذي يُهمني هو الدين فقط ثم يكفيني بعد ذلك أن لا يكون فيها عيبٌ خَلقي ظاهر وملفت للانتباه " .

طلبها أهلي من أهلها بعد أيام ووافقتُ هي ووافق أهلها , ثم بعد أيام أخرى قليلة تم العقد الشرعي " الفاتحة " في بيت أهلها (يوم 1982/08/30 م) . وفي ذلك اليوم ذهبنا إلى البلدية حيث تم العقد البلدي أو القانوني أو الإداري . ذهبت في ذلك اليوم , أنا وأبي (رحمه الله) , وجاءت الفتاة مع أبيها وخالها . وأثناء هذا العقد رفعتُ رأسي لأنظر شبه نظرة - خُفية , ومع كثير من الخجل والحياء - إلى وجهها ثم خفضتُ رأسي وحوّلتُ نظري إلى جهة أخرى .

وكانت هذه النظرة أو شبه النظرة هي الوحيدة التي ظفرت بها من زوجتي حتى ليلة دخولي عليها . وكنتُ أخبرتُ أهلَ الفتاة بأنني سأتزوج خلال عطلة الشتاء من نفس العام (أي بعد 3 شهور ونصف تقريبا : من 30 أوت إلى نهاية ديسمبر 82 م) , ووافقوا على ذلك . ولكن " عدي ! أنت تريد وأنا أريد" , ولا يكون في النهاية إلا ما يريد الله تعالى , ومنه فإن المخبرات العسكرية اعتقلتنني يوم 9 نوفمبر 1982 م من مدينة أم البواقي حيث كنتُ أدرّسُ هناك , وبقيتُ في السجن لمدة عام ونصف (من 1982/11/9 م وإلى 15 ماي 1984 م) لم أر خلالها زوجتي ولو لمرة واحدة .

ولا أخفي على إخواني القراء أنه وتحت وطأة السجن وعذابه وويلاته تمنيتُ لو زارتنني زوجتي في السجن مع أحد أهلها , ومع ذلك هي لم تفعل لا لأنها لم تُرد ذلك , ولكن لأنه كان لها عَمُّ متشدد ومحافظ وكان يرى أنه لا يليق بالمرأة أن تزورَ رجلا في السجن أو خارجه مادام هذا الرجل لم يدخل بها بعدُ . وكان عزائي في ذلك الوقت أنني أرسلتُ إليها أخيرها بين أن أطلقها (لأن مصيري في السجن مجهول) أو تنتظرني حتى أخرج من السجن , ولكنها اختارت أن تنتظرني وقالت لأهلها بكل وضوح وصراحة " أنتظره حتى يخرج من السجن , ولو انتظرته طيلة حياتي . أنتظره , ولن أطلب منه الطلاق أبدا " .

خرجتُ من السجن وجهزتُ نفسي للزواج وتزوجتُ يوم 13 جويلية عام 1984 م , وما رأيتُ قبل الدخول وجه زوجتي إلا نصف نظرة ولبضع ثواني فقط في البلدية في يوم من الأيام .

تزوجتُ بهذا الطريقة لأنني كنت واثقا من نفسي كل الثقة بأن الذي يهمني من المرأة هو الدين فقط , وأما الجمال فكنتُ وما زلتُ مقتنعا بأن أغلبية النساء جميلات الجمال المتوسط والعادي , كما كنتُ مقتنعا بأن الذي سيسعدني بزواجتي هو دينها أولا وثانيا وثالثا و ... وأما الجمال فيأتي عندي في المرتبة الأخيرة .

وإذا كان الإمام أحمد رضي الله عنه عالما من العلماء الكبار , فليس مستحيلا ولا ممنوعا علينا - نحن البسطاء من المؤمنين - أن نقلده في ميزة من ميزاته رضي الله عنه وأرضاه وفي خاصية من خصائصه . رسول الله أسوتنا الأولى ثم يأتي بعده الصحابة والتابعون والعلماء والصالحون و...

1- تزوجتُ بهذه الطريقة , ولو تتاح لي الفرصة لأتزوج من جديد لتزوجت بنفس الطريقة لأنني ما ندمتُ عليها أبدا .

2- تزوجتُ بهذه الطريقة , وأنا سعيد جدا بزواجي وبزوجتي التي عندي معها 6 أولاد : 3 ذكور و3 إناث .

3- تزوجتُ بهذه الطريقة ولم أقل لزوجتي أو مع نفسي في يوم من الأيام " يا ليتني تزوجتُ بامرأة أجمل! ". ما قلتُ هذه الكلمة لا في النوم ولا في اليقظة , لا بيني وبين نفسي , ولا أمام أي واحد من الناس . بل الذي يقع باستمرار هو أنني أقول لزوجتي صادقاً ومخلصاً " أنتِ عندي أجملُ امرأة في العالم " , مع أنني أعلم بيقين أنها امرأة عادية تماماً , ولكن الله قذف في قلبي الرضا والقناعة, فأنا أرى دوماً بأن زوجتي هي أجمل امرأة في الدنيا.

45- من أجل خروج سافر لنساء مع عروس تزوج بها أحد أقاربي :

دعيتُ (حوالي 1989 م) أنا وزوجتي للحضور في عرس لأحد أقاربي . وكما كان يحصل في بعض الأعراس كلفني قريبي المتزوج (صاحب العرس) بمراعاة الشرع والحلال والسنة خلال العرس وسط الرجال , وطلب مني أن أكلف زوجتي بنفس المهمة وسط النساء . وكان هذا التكليف لي ولزوجتي يتم في بعض الأعراس . وبسبب من ذلك وقبل ذلك وبعد ذلك بتوفيق من الله تعالى وحده , كان العرس يمر والحمد لله على أحسن حال وكما يحب الله ورسوله إلى حد كبير وبعيد . يتم العرس على أحسن حال إذا قبلَ الحاضرون إلى العرس بمسؤوليتنا أنا وزوجتي على مسائل الحلال والحرام والبدعة والسنة وهذا هو الذي كان يحصل دوماً وباستمرار , إلا في هذا العرس الذي أردتُ أن أذكر الآن حكايته وخبره . في هذا العرس أوصى الزوجُ أهله بالسمع والطاعة لي ولزوجتي ولكنهم في آخر المطاف غلبتهم نفوسهم وأهواؤهم وتحكيم العادات والتقاليد البالية فرفضوا في وقت من الأوقات – ولو بأدب – رفضوا الانصياع لأوامري .

أنا مع الرجال وزوجتي مع النساء , أوصينا أهل العرس بجملة وصايا منها وجوب التخلص من بعض المحرمات والبدع التي تقع كثيراً في مناسبات الأفراح والأعراس . ومن هذه المحرمات تبرج النساء اللواتي يصاحبن العروسَ عند خروجها من دار أهلها وهي متوجهة إلى دار زوجها . أكدت لأهل العرس مرات عدة بأنني لن أقبل مع العروس عندما تخرج من بيت أهلها وحتى تصل إلى بيت أهلها , لن أقبل إلا بنساء محتشمات بحجاب أو ملاءة أو ... , وأما المتبرجة فلن أسمح لها أبداً أن تخرج مع العروس .

ذهبتُ يوم الخميس مساءً مع زوجتي ومع حوالي 50 شخصاً (نساء ورجالاً) إلى دار العروس حيث مكثنا هناك حوالي ساعتين , ثم أمرتُ أهلَ العروس بإخراج العروس .

وبعد حوالي ربع ساعة نادتني زوجتي وقالت لي " هناك متبرجات من أهل العروس تردن الخروج مع العروس . ومع أنني أخبرتهن بأن هذا أمر مرفوض وبأن زوجي سيعترض عليكن حتما , ومع ذلك هن مصرات على الخروج متبرجات " . طلبتُ عندئذ من صاحب السيارة الأولى (ضمن حوالي 25 سيارة) أن يتوقف وأن لا يتحرك حتى أرجع المتبرجات من أهل العروس إلى بيت العروس , إما من أجل أن يغيرن لباسهن أو يُغيّرن بنساء أخريات ملتزمات باللباس الإسلامي وبالحجاب أو الملائية أو ...

دار حوار طويل وعريض في دار العروس ثم كلموا البعض من أهل العريس الذين اتصلوا بي وقالوا لي " يا شيخ عبد الحميد , رجاء لا تعمل لنا مشكلة مع أهل العروس . معك حق 100 % , ولكن الأفضل أن لا نحدث مشكلة وأن لا نغضب أهل العروس " .

قلت لهم " لقد أوصاكم العريسُ بالسمع والطاعة وبالالتزام الحلال والسنة في كامل العرس ... والله أحق أن يُرضى ... تأكدوا أن العروس وأهلها لن يحترموا في النهاية إلا من أطاع الله وحاول إرضاءه , وأما من أرضاهم في سخط الله فلن يحترموا أبدا ... " .

ولكنهم أجابوا " كلُّ ما قلته يا عبد الحميد صحيح وصواب , وأنت عندنا عزيز , ونحن نعلم بأن العريس أوصانا بالسمع والطاعة , ولكن رجاء سلم لأهل العروس في هذا المرة فقط... " . ابتسمتُ وقلت لهم " هذه نكتة ... أنتم تحترموني ولكنكم لا تسمعون كلامي , هذا أمر مضحك للغاية " . المفروض أن (المحب لمن يحب مطيع) .

أعطيتهم مهلة لحوالي 5 دقائق , ولما أصروا على الخضوع لأهل العروس وللمتبرجات , ناديتُ زوجتي أمام أكثر من 200 شخصا من أهل العروس والعريس , وتحركتُ معها على أرجلنا لحوالي 1 كيلومتر حيث أخذنا سيارة أجرة واتجهنا لوحدنا من خلال طريق آخر نحو دار العريس التي تبعد عن دار العروس بحوالي 7 كيلومترا .

وبعد وصول موكب العرس الماجن والسافر , وبعد أن سمع العريسُ بخبر ما وقع لام ووبخ وعاتب أهله الرجال بشدة , ثم جاء واعتذر إلي بسبب خذلان أهله لي , ثم جاء أهله واعتذروا إلي .

قلتُ لهم " هذا هو الذي يقع في كثير من الأحيان المشابهة : ترضون المخلوق ثم تتدمون بسرعة , تعصون الخالق ثم تتدمون بسرعة وهكذا ... ما قيمة اعتذاركم إلي الآن؟! . الله أحق أن تتوبوا إليه ... ما الذي بقي لكم من معصيتكم لله؟! . ألم تعلموا أن كل معصية لذيدة ولكن لذتها تزول ويبقى عقابها , وأن كل طاعة متعبة ولكن تعبها يزول ويبقى ثوابها ... ثم أتظنون بأن المتبرجات اللواتي حاولتم إرضاءهن سيحترمنكم , إن هذا مستحيل . ثم أتظنون بأن أهل

العروس يحترمونكم بسبب ما فعلتم , هذا مستحيل ... يا ليتكم تعلمون بأن الراحة والهناء والساعة لن تحصلوا عليها إلا بطاعة الله وحده , ولن يحبكم الناس الحب الحقيقي إلا إذا أطعتم الله فيهم ...". فسكتوا وطأطأوا رؤوسهم معترفين ضمنيا بسوء ما فعلوا .

اللهم أصلح أحوالنا وغلبننا على أنفسنا وعلى الشيطان .

46 - أختي صديقتي ! :

أنا أنصح منذ كنتُ صغيرا , أنصح كلَّ ذكر - مهما كان صغيرا أو كبيرا - أن يكون مع أخواته طيبا وكریما ومحسنا و ... كما يكون معهن جادا وحازما و ... كأنه أب ثاني لهن . هذا أمرٌ يحبه له الله ويحبه له الوالدان وتحبه له أخواته ويحبه له بإذن الله الناسُ أجمعين .

أنا أنصح دوما الأخ أن يكون بكلمة مختصرة صديقا وزميلا وصاحباً لأخواته , مع كل ما تحمله الصداقة والزمانة والصحبة من معاني , فضلا بطبيعة الحال عن أنه أخوهن في النسب وفي الإسلام . أنا أنصح بهذا :

أ- لأن هذا هو مقتضى الشرع والعقل والمصلحة المشتركة في الدارين وكذا سعادة الدنيا والآخرة .

ب- ولأن أغلبية الأولاد وكذا أغلبية الرجال في مجتمعاتنا يعيشون من الصغر بعيدين عن أخواتهم : البعد البدني مرة والبعد النفسي والشعوري والوجداني مرات عديدة .

وأقول هنا بالمناسبة بأنني - والحمد لله - ومن صغري , أتعاملُ مع أخواتي (عندي 3 إخوة و4 أخوات) على أنهن أخوات وصديقات في نفس الوقت .

كنتُ مع أخواتي صديقا وأخا , وما زلتُ على ذلك إلى اليوم (وأتمنى أن أبقى كذلك) رغم أننا الآن جميعا متزوجون ولكل منا أولاد كثيرون , ونحن نسكن بعيدا عن بعضنا البعض . ورغم كل ذلك , ومع كل ذلك , فنحن نقاوم الظروف المحيطة بنا , ونحاول أن نتصل ببعضنا البعض باستمرار . وعندما ألتقي إحدى أخواتي أنا أقضي معهن أوقاتا هي من أحسن الأوقات عندي : حديث عن الدين والدنيا ونصائح وتوجيهات ودردشات وابتسامات وضحكات وأكل مع بعضنا البعض وشرب مع بعضنا البعض وتناول مع بعضنا البعض وزيارات لأقارب وجيران وأحباب مع بعضنا البعض , وألعبُ معهن , وأتسابق معهن , وهكذا ...

ولله الحمد والفضل والمنة .

وكما أنني أستمتع كثيرا بالأوقات الطيبة التي أقضيها مع أصدقائي الذكور وإخوتي في الله تعالى , فأنا أستمتع وبنفس القدر تقريبا بالأوقات الثمينة والرائعة التي أقضيها مع أصدقاء من نوع رفيع , وهؤلاء الأصدقاء هم أخواتي .

فالحمد لله أولا وأخيرا . والشكر لله من قبل ومن بعد .

47- عن تعلق المرأة الزائد بالأحلام :

في يوم من الأيام اتصل بي أخ من الإخوة يقول لي :

-أختي (عمرها 35 سنة) رأت بالأمس في منامها بأنها ستتزوج برجل عمره 60 سنة قلتُ له : وماذا بعدُ ؟!

-واليوم , وبعد صلاة العصر دق بالفعل باب بيتنا رجل عمره 60 سنة , جاء يطلب أختي للزواج .
-ثم ماذا ؟!

-انقسم أفراد الأسرة بين موافق على هذا الزواج , على اعتبار أن ما رآته أختي رؤيا صالحة ويجب أن تنفذ وإلا فهي تخاف على نفسها من العواقب السيئة , ومعارض على أساس أن الرجل أكبر من أختي بكثير .
-ثم ؟!

-أختي طلبت منا في النهاية أن نتصل بك أنت يا شيخ , من أجل أن تفصل بيننا وتعطينا رأيك في الموضوع : هل نوافق على خطبتها والزواج منها لهذا الرجل " الشيخ " أم أن الأفضل لنا أن نرفض ذلك ؟!

قلتُ له : أخي الكريم :

- 1 -ليس هناك أي دليل قطعي على أن ما رآته أختك في المنام , هو بالفعل رؤيا صالحة .
- 2 -للمرأة متعلقة - بشكل عام - كثيرا إلى درجة المبالغة بالأحلام والرؤى .
- 3 -رؤيا الأنبياء فقط هي التي تعتبر حقا خالصا لأنها وحي من الله , وأما رؤيا غير الأنبياء فيمكن أن يُعمل بها أو يُهتم بها , كما يمكن أن تُتجاهل ولا يُعطى لها أي اهتمام .
- 4 -كون الأخت رأت شيئا في المنام بالأمس ثم تحقق اليوم , هذا ليس دليلا ولا حجة ولا برهانا على أن ما رآته حق يجب تنفيذه .
- 5 -توافق أختك على الزواج بهذا الرجل أو لا توافق , كل ذلك جائز ومباح من الناحية الشرعية , ولكن مطلوب منا أن نبحث لها عما هو أفضل لها دينا ودنيا .
- 6 -أنا أخي الحبيب لو كانت أختك أختي أو ابنتي , أو لو كانت لي عليها سلطة لما قبلتُ منها ولا لها هذا الزواج مهما كان الزوجُ صاحبَ دين ومال وقوة وسلطان . إن من أهم ما يلزم توفره في الزوج حتى تسعد المرأة بزواجها منه هو الكفاءة في السن , وذلك بأن

يكون الرجلُ أكبر منها ب 5 أو 10 سنوات أو حتى 12 أو 13 أو 14 أو حتى 15 سنة . وأما أن يكون الفارقُ في السن بين المرأة والرجل 25 سنة فهذا الذي لا أقبله ولا أستسيغه أبدا . من الصعب جدا أن تسعدَ امرأةً بزواجها من رجل في عمر أبيها : من الصعب أن تسعد معه نفسيا أو جنسيا أو شعوريا ووجدانيا ...

48- الكلام الفاحش البذيء من المرأة أسوأ :

قلتُ في أكثر من موضع وفي أكثر من مناسبة بأن :

1- الكلام الفاحش البذيء لا يجوز قوله أبدا من طرف أي مسلم أو مسلمة لا نيابة عن نفسه , ولا نقلا عن الغير , على خلاف الكفر الذي يجوز أن يُقال نقلا عن الغير مع ضرورة التنبيه إلى أنه كفر .

2- لا يجوز أن يُقال الكلام البذيء الفاحش ولو من طرف الطبيب الاختصاصي في شؤون المرأة أو الجنس مع أحد مرضاه من الرجال أو من النساء .

3- لا يجوز أن يُقال الكلام البذيء الفاحش ولو على سبيل المزاح أو الترفيه عن النفس أو ما شابه ذلك .

4- لا يجوز أن يُقال الكلام البذيء الفاحش ولو بين المرء ونفسه , ولو كان المسلم في غابة لا يوجد معه فيها إلا الحيوانات المفترسة .

والكلام البذيء الفاحش يحرم شرعا على الرجل وعلى المرأة على حد سواء , ولكنه - عرفا وعادة - ممنوع أكثر إن صدر من المرأة المسلمة . وهذا لأسباب عدة من أهمها أن الكلام الفاحش مضاد للحياء المطلوب من طرف الرجال والنساء , ولكنه مطلوب شرعا من طرف النساء أكثر .

مررتُ منذ سنوات على ساحة بالثانوية يمارسُ فيها التلاميذ (ذكورا وإناثا) الرياضة بطريقة مختلطة . مررتُ بتلك الساحة لأنني كنتُ مضطرا لأمر منها وأنا متجه إلى عيادة الثانوية الطبية . مررتُ على محيط الساحة متجنباً الدخول بين التلاميذ وغازيا بصري عن النظر إلى وجوه أو أجساد التلميذات , ولكنني قبل أن أبتعد عن الساحة وأقترب من العيادة سمعتُ :

1- ما لا أسمعه إلا مرة واحدة خلال حوالي 5 أو 6 سنوات متتالية , وهو الكلام البذيء الفاحش .

2- وما لم أسمعه إلا مرة واحدة في حياتي كلها , وهو الكلام البذيء الفاحش يصدرُ من امرأة .

سمعتُ إحدى التلميذات تنطق مع إحدى زميلاتها وبصوت متوسط كانت تظن معه أنه لن يصل إلى سمعي , سمعتها قالت ما قالت , فتظاهرتُ بأنني لم أسمع خاصة وأن التلميذة في لباس الرياضة . سمعتها قالت ما قالت وتمنيتُ لو أنني ما مررتُ من ذلك المكان ولم أسمع ما سمعتُ .

لأول مرة في حياتي سمعتُ بأذني امرأة تقول الكلام الفاحش والبذيء . ولأنني ضربتُ خلال 35 سنة من التعليم , ضربتُ حوالي 18 تلميذا ذكرا , ولكنني لم أضرب تلميذة واحدة في حياتي , فإنني ولأول مرة في حياتي تمنيتُ أن أضربَ هذه التلميذة لو كانت تلميذتي ولو كانت تدرس عندي .

أسأل الله لي ولها ولكم إخواني ولكنَّ أخواتي : الصواب والإخلاص في القول والعمل , والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة , آمين .

49- " أريد أن تزوجني يا أبي على سنة رسول الله " !!! :

مما هو معلوم من الدين بداهة أن زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره 25 سنة , هو سنة عادية وليست سنة تعبدية . من مظاهر الجهل الزائد عند البعض من الشباب المتدين أن رجلا قال لي (شاكيا) من سنوات بأن ابنه المتعصب طلب منه أن يُزوجه (وهو مازال صغيرا نسبيا : عمره 25 سنة) (ومازال لم يجد شغلا بعد , وليس له ولا لأبيه مال يكفيه ليتزوج وكذا لينفق على زوجته وأولاده بعد الزواج) .

قال الأب لابنه: ولكننا لا نستطيع يا بني, وأنت مازلت صغيرا, وما زلت لم تجد شغلا بعد !. فأجاب الولد المتعصب : إنها سنة رسول الله يا أبي !.

- ما هي ؟

- من السنة أن يتزوج الرجل وعمره 25 سنة , لأن رسول الله تزوج وعمره 25 سنة !. ابتسمتُ وقلتُ للأب " يا ليتك قلتُ لابنك عندئذ : إذن تزوجك يا بني بامرأة عمرها 40 سنة , وثيبا و...!!".

قال الأب " لقد قلتُ له ذلك , ولكنه لم يجبني بشيء " .

وشر البلية ما يضحك ويبيكي , كما يقولون .

50 - " لا يمكن أن يرى الأستاذ عبد الحميد ابنتي العروس " :

كم عند الناس من تناقضات في حياتهم اليومية .

ومن ذلك تناقض بعض الرجال في تعاملهم مع المرأة , خاصة مع البنت . يوجد في مجتمعاتنا رجال لا يهتمون ببناتهم خارج البيت أو داخل البيت في الأحوال العادية , ومنه تجد الواحد منهم لا يراقب ابنته ولا ينصحها ولا يوجهها ولا يوقفها عند حدها إن تعدت حدا من حدود الله في أدب أو خلق أو حياء أو شرف أو عفة أو كرامة أو ... ومنه لا بأس عليها أن تخالط ذكورا أو رجالا وتصافحهم وتسلم عليهم وتتحدث معهم بما يصلح وما لا يصلح من الكلام , وربما تختلي بالواحد منهم وتفعل معه أو يفعل معها ما الله أعلم به , بلا حسيب ولا رقيب من أهلها وخاصة من أبيها . وتجد الواحد منهم لا يراقب ابنته ولا يحاسبها سواء خالطت الرجال بحلال أو بحرام , وسواء تم ذلك داخل البيت أو خارجه .

ولكنك تجد الرجل في المقابل وفي المناسبات الخاصة كالأعراس وغيرها مما يشبهها , تجده يتشدد مع ابنته التشدد الزائد حتى أنه يمكن أن يمنع ابنته من الحلال لا من أجل الله , ولكن مراعاة فقط لتقاليد بالية ما أنزل الله بها من سلطان . ومن هذا المنطلق يمكن أن يمنع الرجل مثلا خاطبا جاء يخطب ابنته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم , وجاء يريد رؤيتها لبضع دقائق , في بيتها , وبحجابها , وفي وجود محارمها من الرجال . يمكن أن يمنع الرجل هذا الخاطب منعا باتا , ويرد على طلبه بعنف , ويزجره بقوة , ويكلمه بفظاظة وغلظة وكأنه طلب حراما أو أراد مستحيلا !.

وأذكر بالمناسبة أن أهل عريس طلبوني منذ سنوات لأرقي العروس في اليوم الموالي لدخول زوجها عليها . وعندما ذهبتُ إلى بيت العريس انتظرتُ طويلا حتى يُدخلوني إلى حجرة معينة أرقي فيها العروس . انتظرتُ وبعد حوالي نصف ساعة جاءني العريسُ وبعضُ أهله من الرجال - محرجين - ليعتذروا إلي على اعتبار أن أب العريس قال لهم " لا يمكن أن يرى أيُّ رجل العروسَ . هذا مستحيل !!!". قلتُ لهم " بالنسبة إلي هذا يريحني كثيرا لأن الرقية أتعبتني ولأن ضغط الناس علي من أجل الرقية يزيدُ مع الأيام , وأنا أريد شفاءَ العروس وأفرحُ له سواء تم على يدي أو على يد غيري " , ثم أضفتُ قائلا " ولكنني في المقابل أتعجب من سلوك هذا الرجل (أب العريس) :

1-يا ليت الرجل (أي رجل) يتشدد مع ابنته - عموما - ليمنعها من الحرام شرعا , لا ليمنعها من الحلال أو ليمنعها من أشياء مراعاة لعادات وتقاليد بالية .

2-أنا تعودتُ على أن النساء تطلبنني من أجل الرقية وأنا أتهرب ما استطعتُ من أجل التخفيف على نفسي.

3- أنا عندما أرقي المرأة , لن أرقبها إلا وهي بحجابها (وربما بنقابها إن أرادت ذلك , وهذا الذي أتمناه منها ولها) , وفي وجود زوجها أو أحد محارمها , ومنه فإن تحفظ أب العريس لا معنى له , وهو غير مقبول ولا مستساغ البتة من كل النواحي الشرعية أو العقلية أو المنطقية " .

فرد علي أهل العريس جميعا " والله إن الحق كل الحق معك , وكل ما قلت صواب , ونحن معك 100 % في كل كلمة قلتها , ولكن أب العريس غلبنا " .

قلت لهم " لا عليكم !. سامحه الله , وشفى الله العروسَ وبارك الله للمتزوجين وجمع الله بينهما في خير " .

ثم استأذنت وانصرفت . وفي الغد اتصل بي أهلُ العريس من جديد , وقالوا لي " مشكلة العروس ما زالت قائمة ولم تُحلَّ بعدُ , وأبُ العريس رضي أخيرا بأن ترقبها , وهو نفسه الآن يطلبك ويُلح في الطلب من أجل أن ترقب العروس " , فذهبتُ وراقبتُ العروس , في وجود زوجها , وشفيت مما كانت تعاني والحمد لله رب العالمين .

51 - هل المطلوب النجاح في الدراسة أم البحث عن زوج؟! :

عندما تذهب الطالبة إلى الجامعة وترجع منها بعد سنوات بشهادة تعينها في مستقبل أيامها في البيت أو خارج البيت , فإنها تعود مشكورة من الله ومن العباد إذا عادت نظيفة طاهرة أدبا وخلقا ودينا . أما إذا أتت بشهادة جامعية لكن بعد أن خسرت العفة والحياء , فلا بارك الله لها في دراستها وفي الشهادة التي أتت بها .

ومن المضحك والمبكي في نفس الوقت أن تخبرني طالبة في يوم من الأيام - وهي تكاد تبكي - أن أهلها عوض أن يهنئوها في نهاية دراستها الجامعية بنجاحها في دراستها , عوض ذلك لاموها - هدام الله - لأنها لم تأت من الجامعة معها بزواج المستقبل . هكذا قالوا لها؟! نعم هكذا , وكأن الطالبة ذهبت إلى الجامعة للزنا أو على الأقل للزواج لا من أجل الدراسة . قلتُ لها " يا ليتَ فرصة تتاح لأكلمَ أهلك وأحذرهم من مغبة ما يقولون ويفعلون مع ابنتهم , وأبين لهم بأن هذا السلوك منهم لا يدل أبدا على حب لابنتهم وإنما هو يدل على جهل فضيع بالدين وكذا على قلة غيرة على الشرف والعفة والكرامة والعياذ بالله تعالى " . صحيح أن أهلها متأثرون بنظرة الطبقات غير الجامعية السلبية إلى الطالبة الجامعية , لذا فإنهم يرون أن ابنتهم أو أختهم إذا لم تتزوج من خلال الجامعة وفي فترة الدراسة الجامعية قد لا تتزوج بعد ذلك . هذا سبب , لكن لا يجوز أبدا أن يكون عذرا مقبولا لهم من الناحية الشرعية أو حتى من ناحية العرف والعادات النظيفة . حسبنا الله ونعم الوكيل , والله أعلم بالصواب .

52 - لم أصافحها فغضبت وقالت للتلاميذ...! :

في السنوات الأولى من بداية تدريسي للعلوم الفيزيائية بالثانوية (أي منذ أكثر من 25 سنة خلت) , دخلتُ إلى قاعة الأساتذة بثانوية من الثانويات فسلمتُ على الأساتذة جميعا (ذكورا وإناثا) وتوجهتُ للأساتذة الذكور من أجل مصافحتهم , فجاءتني أستاذة من الأساتذات لتصافحني فحاولتُ

أن أتحاشاها بأن أعطيها ظهري وأكتفي معها بالسلام من بعيد , ولكنها أصرت على الوصول إلي لمصافحتي . مدت يدها إلي فاعتذرتُ إليها بأدب , وقلتُ لها " أنا – يا أستاذة – لا أصافح النساء " , ثم أضفتُ " كيف حالكم يا أستاذة؟! . أنتم بخير إن شاء الله! " .

لم تجبني الأستاذة وغضبت غضبا شديدا , وظهر الغضبُ بشكل واضح جدا على تقاسيم وجهها , وانسلت من بين الأستاذة والأستاذات لتخرج من قاعة الأستاذة , وهي عازمة على الانتقام . في الأيام القليلة القادمة عرفتُ كيف أرادت الأستاذة الانتقامَ مني . كانت تُدرّس قسما من الأقسام كنتُ أدرّسه أنا كذلك . سألتُ تلميذاته علانية وأمام كل تلاميذ القسم " ما الذي يقول لكم الأستاذ رميته خارج برنامج الفيزياء والكيمياء؟! " , فأجبنا " هو ينصحنا باستمرار – فضلا عن الاجتهاد في الدراسة – بالستر والحجاب , وهو يحثنا على الدوام على البعد عن الاختلاط بالذكور إلا عند الضرورة , وعلى ترك الماكياج والعطور خارج البيت , وعلى تجنب اللباس الضيق والمفتوح والشفاف والقصير خارج البيت , وعلى عدم القهقهة ورفع الصوت أمام الرجال , وعلى الأدب والخلق والحياء بشكل عام , على اعتبار أن رأسمال كل امرأة هو حياؤها وعلى ... " . قالت الأستاذة للتلميذات " لا تسمعن للأستاذ ولا لهذه النصائح , إنه يغلظُكن . ليس لكن إلا حياة دنيا واحدة , ومنه يجب أن تستمتعن بها أقصى استمتاع : البسن ما يعجبكن , وتزيين كما أحببتن , واختلطن بالذكور كما شئتن , وتكلمن واضحن مع الغير كما يفعل الغيرُ معكن , واعلمن أنه لا فرق أبدا بينكن وبين الرجال في شيء!!! " . والذي أوكد عليه هنا هو أن التلميذات كن يسمعن مني أكثر بكثير مما يسمعن من هذه الأستاذة .

إن الحق يبقى حقا إلى يوم القيامة , مهما ابتعد الناس عنه وزهدوا في الدعوة إليه .

وإن الباطل يبقى باطلا إلى يوم القيامة مهما انغمس الناس فيه وبالغوا في الدعوة إليه .

53- لماذا تُخوّف النساء من الرجال؟! :

قال لي تلميذ من التلاميذ في يوم ما " ألا يمكن – يا أستاذ – أن تستند التلميذة أو المرأة على تحذيراتك لها من الرجل أو من التلميذ باستمرار من أجل الطعن في الرجال بشكل عام واعتبارهم أقل شأنا من النساء؟! " .

قلتُ له " نعم هذا ممكن , لكنها ستكون مخطئة في استنتاجها , لأنني عندما أقول بأن الرجل لا أمان فيه وهو مع المرأة وأن نقطة ضعفه هي المرأة وأنه أناني في تعامله مع المرأة وأنه أقل وفاء في الحب من المرأة , فإنني أذكر سيئة من سيئات الرجل وعنده في المقابل من الحسنات ما عنده كما أن المرأة عندها حسنات وسيئات . ثم إنني أتحدث عن رجال لا يخافون الله لا عن كل الرجال , والرجل الذي يخاف الله يحرص على شرف المرأة وكأنها من أهله . ولا ننسى أن الأنبياء كلهم

رجال , وأنني أنا كذلك رجل , ورسول الله أخبرنا أنه اطلع على أهل النار فرأى أن أكثر أهلها النساء وليس الرجال , وهكذا ... ثم إن منطلقي فيما أقول هو الدين أولاً ثم الطب وعلم النفس والواقع والتجربة ثانياً . والله أعلم بالصواب .

54- لغو ثم لغو باسم البحث عن الزوجة الحلال :

اللغو هو الباطل أو هو ما لا يفيد أو ... على خلاف بين العلماء والفقهاء والمفسرين و... وقد يكون اللغو في الكلام وقد يكون في الفعل .

وأنا أعرف معنى اللغو من أيام زمان , ولكنني أظن أنني ما عرفتُ معنى اللغو في الكلام كما ينبغي أو أنني عرفتُ معنى اللغو أكثر وأكثر يوم 2009/5/4 م مساء .

كنتُ راجعا من مدينة قالمة إلى قسنطينة , ثم من قسنطينة كنتُ راجعا عبر سيارة أجرة إلى مدينة ميلة . دخلتُ السيارة على الساعة الخامسة و 40 دقيقة , وبعد 5 دقائق تحركت السيارة متجهة إلى ميلة . دخلتُ السيارة على الساعة 5.40 دقيقة حيث وجدتُ فيها شابا عمره 25 سنة تقريبا يتحدث عن طريق الجوال مع نساء ... بقي الشاب يتحدث بصوت مرتفع يسمعه جميعنا (ركاب السيارة : أنا و 4 آخرون والسائق) . بقي يتحدث حتى الساعة السادسة والرابع حيث انقطع الاتصال ربما بسبب أننا مررنا بمكان كان خارج التغطية .

وكان حديث الشاب مع النساء أو مع البنات , كان في نظري لغوا في لغو , وكان جلّه حراما وفيه من سوء الأدب وقلة الحياء والوقاحة وانتهاك محارم الله ما فيه , والقليل منه كان كلاما لا فائدة منه وإنما هو قتل للوقت و... ليس إلا .

وعندما سألتُ الشاب أخبرني بأنه يتحدث مع هذه الشابة وأخواتها منذ الساعة الثالثة والنصف لا منذ الساعة الخامسة و40 دقيقة (أي منذ حوالي 3 ساعات إلا ربع) وأنه يتحدث كل شهرين أو ثلاثة مع مجموعة من البنات بقصد التعرف ثم إذا أعجبتّه واحدة , عندئذ ربما اتجه إلى أهلها ليطلبها للزواج .

وإن لم تعجبه أية واحدة منهن بحث عن أخريات ليحاول معهن لشهور عدة ومرة أخرى , فإن لم يجد من تصلح له زوجة بحث عن مجموعة ثالثة وهكذا ... وقال لي بأن هذا شأنه مع النساء والبنات منذ حوالي 3 سنوات , وأنه يقضي في كل يوم حوالي 5 أو 6 ساعات في الحديث الطويل مع البنات ... تارة مباشرة هنا وهناك وأحيانا أخرى عن طريق الهاتف النقال , وتارة بإذن أهل الفتاة وأحيانا أخرى بغير إذن الولي ...

ترددتُ في البداية هل أنصحه أم لا , ثم عزمْتُ على أن أكلمه وأنصحه وأوجهه بطريقة لينة لعله يسمع ويستفيد , إن لم يكن اليوم فعلى الأقل في يوم من الأيام , وإن لم يستفد هو فقد يستفيد بقية الركاب أو السائق مما سأنصحه به . والحمد لله أن الشاب سمع مني وقبل

مني ما نصحته به , على الأقل في الظاهر سواء عمل بما نصحته أم لم يعمل به , بدليل أنه كان طيلة الحديث يكلمني ب " يا شيخ " أو " يا أستاذ " " بارك الله فيك ... " " عندك حق ... " " سل الله لي الهداية يا شيخ " ... ثم في النهاية طلب مني رقم هاتفي حتى يتصل بي متى احتاج إلى مساعدتي أو إلى نصائحي .

وكان من ضمن ما قلته له خلال حوالي 45 دقيقة , ما يلي :

1-الذي يبحث عن زوجة يبارك الله له فيها , يجب أن يتبع الطريق الشرعي في سبيل ذلك ولا يتبع هذا الطريق الملتوي الذي أنت تسلكه منذ سنوات . والطريق الطبيعي هو أن تسأل عن الفتاة من بعيد أو من قريب . ثم إذا اطمأن قلبك إليها اتصل مباشرة بأهلها واطلبها منهم . إذا وافقوا فاستكمل بقية الخطوات الشرعية وإلا فاذهب أنت في حال سبيلك , وليفتح الله على كل منكما بالخير .

2- حكاية التعارف بين الشاب والفتاة قبل الخطبة أو بعدها , وقبل العقد أو بعده هو كذب في كذب , ووالله لن يعرف أحدهما الآخر كما ينبغي وعلى حقيقته إلا بعد الزواج .

3- كل هذا الوقت الذي أنت تقضيه في التحدث مع فتيات أجنبيات مازالت الواحدة منهن ليست خطيبة لك ولا زوجة , ستسأل عنه يوم القيامة , واسأل نفسك من الآن : هل سيكون هذا الوقت في ميزان حسناتك أم سيئاتك؟! .

4- كل هذا الكلام الذي سمعته أنا منك خلال 25 دقيقة تقريبا هو لغو في لغو , وأغلبه - إن لم أقل كله - باطل وحرام . ومع ذلك أنا أعرف أن ما تقوله لهؤلاء الشابات بعيدا عن سمع الغير وكذا ما تقوله لهن في الليل هو أسوأ بكثير مما يقال أمام أمثالي وفي النهار . وهذا أمر مفهوم وبديهي ولا يحتاج إلى شرح أو دليل أو حجة أو برهان .

5- أنت لا تقبل حتما أن يتحدث شاب مع أختك أو إحدى نساء أهلك بمثل ما سمعتك أنت تتحدث به قبل قليل مع بعض الشابات . إذن كيف تقبل لبنات الغير ما لا تقبله أنت لنساء أهلك , وكيف لا تقبل من غيرك من الشباب ما تقبلك أنت من نفسك؟! . أليست هذه قمة الأنانية يا هذا؟! .

6- لن يبارك الله لك في زواج أنت تريد أن تبدأه بالحرام من أول يوم . وكذلك لن تحترمك امرأة في الدنيا ولن تُقدرك إلا إذا كنت معها وقافا عند حدود الله تعالى . وأما وأنت تتحدث مع شابة أجنبية عنك باللغو الذي كنت أسمعك منك قبل قليل , فيستحيل أن تحترمك وتقدرك . كن على يقين من هذا يا ولدي ...

55- أنا أخاف على نفسي من تدريسات متبرجات تبالغن في التبرج ! :

عام 1978-1979 م , حيث كان عمري 23 سنة (ما زلت أعزبا) , وحيث كنتُ أُدرّسُ تلميذَ ثانوية ... بميلة . ولأنني كنتُ صغيرا في ذلك الوقت فإن سني أكبر من سن التلميذ أو التلميذة في الثانوية ب 3 أو 4 أو 5 سنوات فقط , ومنه يمكن أن أعتبر نفسي فقط أبا أكبر قليلا لأي تلميذ , لا كشأني اليوم , حيث سني أكبر من سن التلميذ بالثانوية بأكثر من 3 مرات , ومنه فأنا في مرتبة الأب لأي تلميذ .

في تلك السنة وعندما اقتربت نهاية السنة الدراسية واقتربت معها أيام الصيف الساخنة , أي في الأيام الأولى من شهر ماي قلتُ للتلميذات " رجاء ثم رجاء ليست لي سلطة أقدر من خلالها على أن أفرض عليكم الحجاب الشرعي , ولكنني أتمنى أن تلتزم كل واحدة منكن على الأقل بلباس محتشم , وإلا فإن اللباس المتبرج جدا والفاضح للغاية هو فضلا عن كونه حرام بكل تأكيد هو كذلك مخالف للقوانين الداخلية للمؤسسة . رجاء احترمنا يا تلميذات نحن معاشر الرجال , سواء كنا أساتذة أم تلاميذ أم مراقبين أم عمالا أم إداريين أم ...".

وبعد يومين أو ثلاثة دخلت إحدى تلميذاتي في قسم من الأقسام , دخلت عندي إلى القسم بلباس فهم منه كل التلاميذ حينذاك بأن التلميذة تقصد إثارتي واستفزازي وتحدي توجهي الديني .

عندما دخلت التلميذة بذلك اللباس المتبرج والفاضح , لأنه وبكل تأكيد يكشف من جسدها أكثر مما يستر , عندما دخلتُ على تلك الهيئة قلتُ لها في الحين " اخرجي " .

خرجت التلميذة من القسم وذهبت إلى السيد مدير المؤسسة لتشتكي أستاذها , وبعد قليل جاءني مستشار تربوي (مراقب) وقال لي " المدير يطلبك في مكتبه يا شيخ عبد الحميد". ذهبتُ إليه , وعندما سألني عن سبب إخراجي للتلميذة أخبرته بالقصة , وأكدتُ له بأن لباس التلميذة ليس مخالفا للشرع الإسلامي فقط بل هو كذلك مخالف لقوانين المؤسسة , و " لو كنتم تطبقون القانون لطردهم التلميذة من أمام المؤسسة وقبل أن تصل إلي أنا , أي إلى القسم ". قال لي " أنا أعرف , ولكن ... ". وخلال نقاش استمر حوالي 15 دقيقة بيني وبين المدير , هددني بأنه سيتخذ إجراءات صارمة ضدي , وأنا أكدتُ له بأنني لن أقبل هذه التلميذة ولباسها هذا في قسمي حتى ولو طردتُ نهائيا من عملي بالمؤسسة أو من كل التعليم لأن الرزق على الله وحده . وبالفعل كان لي ما أردتُ أنا - والحمد لله - لأن المدير اضطر ليطلب خلال بقية اليوم من التلميذة أن تتخلى عن لباسها هذا , ودخلتُ إلى قسمي بعد ذلك - في اليوم الموالي - بلباس عادي كما كانت تلبسُ من قبل وكما تلبس زميلاتها في القسم .

من الكلمات التي قلتُها أنا خلال نقاشي مع السيد المدير كلمة معينة أثارت استغرابه الشديد وتعبه الكبير , وذلك عندما قلتُ له من ضمن ما قلتُ " أنا شاب صغير وغير متزوج وأدرس تلميذات في مثل سني أنا تقريبا , ومنه فأنا أخاف على نفسي من الفتنة وأنا أدرس تلميذة بهذا التبرج المثير والقاتن!". بقي المدير لشهور عدة وهو يردد كلامي هذا على أساتذة الثانوية أحيانا متعجبا وأحيانا أخرى ساخرا " أنظروا إلى الأستاذ رميته المتدين

والشيخ والذي يؤم الناس أحيانا في الصلوات و ... هو يخاف على نفسه من فتنة النساء أو من فتنة البنات . ما أعجب أمر الأستاذ وما أغربه . إنه أمر لا يُصدّق ! .

والحقيقة هي أنني لست غريبا ولا عجيبا وكلامي ليس غريبا ولا عجيبا ولا شاذا , وإنما هو طبيعي جدا وللغاية .

1- القول بأن التلميذة التي عمرها 16 أو 17 أو 18 سنة هي بنتي أو عوض بنتي (مهما كانت متبرجة) , ومنه فلا بأس أن أنظر إلى عورتها كما أشاء وأن أمسها كما أشاء وأن أختلي بها كما أشاء و ... لأنها في مرتبة ابنتي , هذا كله كلام فارغ لا قيمة له شرعا ومنطقا وعرفا وعادة و ... ووالله إن الذي يقوله إما مريض أو أنه يكذب على نفسه . هي ليست بنتي وأنا أنظر إليها حين أنظر إليها على اعتبار أنها أجنبية لأنها أجنبية بالفعل وهي في السن الذي يجعلها مرغوبا فيها من طرف أي رجل . ولو نظرتُ إلى تلميذة عمرها 17 سنة مثلا وهي في كامل زينتها ثم قلتُ " وماذا في ذلك؟! إنها ابنتي!" , والله أنا أكذب عندئذ مليون مرة . وأما إن أردتُ أن أتعامل مع التلميذة على اعتبار أنها ابنتي , تعاملنا يحبه الله لي ويرضاه الله لي , فيجب علي أن أنصحها وأوجهها وأتمنى لها الخير والعفاف والشرف والطهر والأدب والأخلاق والدين و ... الذي أحبه أنا لابنتي أو لنساء أهلي . ثم بعد ذلك يجب علي أن لا أمسها ولا أنظر إلى عورتها ولا أقبلها ولا أداعبها ولا أختلي بها ولا ... لأنها حقيقة وشرعا أجنبية عني وليست أبدا محرما من محارمي .

هكذا يجب أن يتعامل الواحد منا مع أجنبية عنه , وإلا بلاش .

2- رغبة الرجل في المرأة رغبة فطرية وغريزية كالرغبة في الأكل والشرب , ولا علاقة لها أبدا بكون الرجل متدينا أم لا , قوي الإيمان أو ضعيف الإيمان , قريب من الله أم بعيد عن الله . نعم قوي الإيمان يمنع نفسه من الحرام وأما ضعيف الإيمان فقد يطلب المرأة بالحلال والحرام , ولكن الرغبة في حد ذاتها في المرأة موجودة عند الرجل كل رجل , مهما كان أتقى الناس أو كان أفسقهم .

3- خوفي على نفسي من فتنة النساء أو من فتنة تلميذات دليل على صحة إيمان وإسلام , أي أنني أخاف على نفسي أن أعصي الله تبارك وتعالى . ومنه فأنا أبعد عن نفسي الفتنة حتى أدرس التلاميذ وأنا طائع لله , وأدرس التلميذات وأنا بعيد عن ارتكاب أي حرام مع تلميذة ولو من خلال النظرة الحرام ... وبذلك أنا أضربُ عصفورين بحجر واحد كما يُقال .

4- خوفي على نفسي من فتنة النساء أو من فتنة التلميذات دليل على صحتي البدنية والعضوية وعلى أنني رجل سليم وصحيح ومعافى . وأما لو قلتُ " أنا ليست لي أية رغبة في النساء بشكل عام , والمرأة عندي هي مثل الطاولة أو الكرسي أو القلم أو الطباشير أو ... هي لا تعني بالنسبة إلي أي شيء " , فإنني بذلك أقدم الدليل القطعي على أنني مريضٌ ويلزمني

طبيبٌ . وكل رجل يقول بأنه لا يرغب في المرأة أصلا , هو إما كاذب وإما مريض , وليس هناك احتمال ثالث .

وفقنا الله جميعا لكل خير , آمين .

56- قال لي " سأنصحها بإذن الله يا شيخ " ! :

كنتُ أعرف في يوم من الأيام أبا كريما (وهو عبارة عن شاب صغير عمره حوالي 26 سنة) , أراد أن يتزوج بفتاة أعرفها وأعرف عائلتها . وكنت أرى أنها لا تصلح له لأنها كانت مائة منحلة وكان أهلها يعضون الطرف باستمرار عن أخطائها وخطاياها , لأنها كانت ابنتهم الوحيدة , وكانوا يرون أن من تنمة أو تكلمة تدليلهم لابنتهم أن ينظروا إلى مخالفاتها بعين واحدة فقط وأن يسمعوا عن انحرافاتهما بأذن واحدة فقط . وكان الشاب يريد أن يتزوج بهذه الفتاة ولكنه لم يتحدث بعد عن نيته تلك إلا مع الفتاة وأمها . إذن من الناحية الشرعية ما زال لم يخطب الفتاة بعد , مادام لم يكلم بعد أباهما في هذا الشأن . وكان هذا الشاب يذهب باستمرار لدار هذه الفتاة مدعيا محاولة التعرف عليها , ومستأنسا بعلم أهلها , أي أنه لا بأس أن يفعل معها ما يشاء ما دام ذلك يتم بعلم أهلها ! . وكان يُفطر هناك في الكثير من الأحيان ويتغذى ويتعشى , وكان يبيت في بعض الأحيان عند أهلها . وبطبيعة الحال كان يلتقي بالفتاة عند أهلها وبعيدا عن أهلها (يختلي بها) وبعلم أهلها , والله وحده أعلم ماذا كان يفعل بها ومعها؟! . كان يختلي بها باستمرار وفي أوقات متقاربة ولفترات طويلة .

قلتُ له في يوم من الأيام - لائما ومعاتبها وموبخا وناصحا وموجها :

"يا أخانا أنتَ من البداية ترتكب مجموعة مخالفات وأخطاء ومحذورات شرعية :

ا- منها أنك تتصل بأهل فتاة وبالفتاة في حد ذاتها , وأنت ما زلتَ لم تخطبها بعدُ من أهلها .

ب- الخطبة تتم مع ولي الفتاة (الأب) , لا مع الأم .

ج- زيارتك المستمرة والدائمة والطويلة لأهل الفتاة وأنت ما زلتَ لم تخطبها بعدُ (ومن باب أولى ما زلتَ لم تعقد عليها ولم تدخل بها بعد) , فضلا عما فيها من حرج شرعي , هي مخالفة لعاداتنا وتقاليدنا , وهي كذلك غير متفقة مع الذوق العام .

د- حتى من أجل أن تخطب الفتاة لا يجوز لك شرعا أن تنظر منها إلى غير الوجه والكفين من جسدها , ولكنك أنتَ (في الحقيقة) تنظرُ منها ومن مدة ليست بالقصيرة إلى غير الوجه والكفين من جسدها وأنت ما زلتَ لم تخطبها بعد .

هـ- أنتَ تختلي بالفتاة من مدة طويلة ولمرات ومرات , وكل ذلك حرام عليك ثم حرام , لأن الفتاة ما زالت أجنبية عنك : أنتَ لم تخطبها بعدُ ولم تعقد عليها بعدُ .

و- لا يجوز لك أن تختلي بهذه الفتاة ولا أن تُقبّلها ولا أن تنظر إلى غير الوجه والكفين من جسدها ولا ... سواء بعلم أهلها أم بدون علمهم . يحرم عليك كلُّ ذلك سواء قبلت الفتاة ذلك أو رفضته , وسواء قبل أهلها ذلك أم استنكروه ورفضوه .

ي- وأما حكاية التعارف الذي تريد أن تحققه مع هذه الفتاة بمخالطتها خلال مدة طويلة , فوالله إنه لتعارف كاذب لأنك لن تتعرف على الفتاة إلا من خلال السؤال عنها , ثم لن تعرفها على حقيقتها إلا حين تتزوجها . عندئذ وعندئذ فقط ستعرفها وستعرفك . وأما مخالطة الرجل للمرأة قبل الخطبة أو بين الخطبة والعقد الشرعي أو حتى بين العقد والدخول من أجل التعرف عليها فهي أكذوبة من أكاذيب الشيطان ليخدع بها كلا من الرجل والمرأة وليوقعهما في الكثير من الأخطاء والمخالفات " .

ثم قلتُ له في النهاية " يا أخانا إعلم أنه من تمام شكرك لله على كل ما أنعم به عليك هو أن تحاول أن تبدأ الزواج من أول يوم على طاعة الله ورسوله " .

والمضحك هنا في هذه الوقفة هو أنني عندما قلتُ لهذا الأخ بأن الفتاة فيها وفيها ... وأنها لا تصلح له ...

قال لي " سأنصحها يا شيخ بإذن الله , وسيستقيم أمرها خلال مدة قصيرة إن شاء الله " ! .

ابتسمتُ وقلتُ له " يا هذا : هذا الذي قلتَ لي الآن يصلحُ أن يكون نكتة , ولكن لا يصلح أن يكون كلاماً حازماً منك . إن رسول الله قال " **ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما** " , ومنه فأنتَ عندما تختلي بها , وعندما ترى منها ما لا يجوز لك رؤيته من جسدها , وعندما تقبلها أو تمس الجزء كذا أو كذا من جسدها , أنتَ بذلك ترتكب 3 مخالفات ومحظورات ومحرمات شرعية في آن واحد , فكيف بالله عليك تصدق أو تريدنا أن نصدق أنه يمكنك أن تنصح الفتاة وتوجهها وتأمرها وتنهاها وتدعوها إلى الله وأنتَ ترتكب معها هذه المعاصي والذنوب والآثام؟! كيف تصدق وتريدنا أن نصدق أنك وأنتَ تختلي بها يمكن أن تنصحها في الله والله؟! كيف تصدق وتريدنا أن نصدق أنك وأنتَ ترى ساقها وذراعيها وعنقها وصدرها و ... يمكن أن توجهها في الله والله؟! كيف تصدق وتريدنا أن نصدق أنك وأنتَ تقبلها يمكن أن تأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر وتدعوها إلى الله؟! إنك يا هذا إن أردتَ أن تنصحها في هذا الجو " الحرام " فلا تقل " أنا سأنصحها لله " , وإنما قل " سأنصحها لوجه الشيطان " . إن هذا الكلام قاس جداً عليك يا أخانا , ولكنها الحقيقة إن أردتَ أن أنصحك ولا أجاملك " .

قال لي عندئذ " صدقتَ والله يا شيخ إنها الحقيقة التي تغطي عليها النفسُ الأمارة بالسوء وكذا الشيطانُ , وإنه الهوى الذي يعمي العقل ويقسي القلب , وإنها الشهوات التي تحببُ إلى الإنسان الفسوقَ والعصيان والعياذ بالله تعالى . أسأل الله لي ولها الهداية , آمين " .

57- بسبب رفضي للجلوس في سيارة إلى جانب امرأة ! :

حوالي 1978 م , ومع بداية اشتغالي بالتعليم في ثانوية حيث كنتُ أعزبا لم أتزوج بعدُ , كنتُ متجها من مدينة قسنطينة – عبر سيارة الأجرة - إلى مدينة ميلية (المسافة بينهما 45 كلم) . والسيارة فيها 6 أماكن بدون حساب مكان السائق . ركبنا في السيارة نحن 5 أشخاص : إثنان في الخلف وواحد في الأمام إلى جانب السائق وإثنان في الوسط . إذن بقي مكان شاغرٌ في وسط السيارة , لأن الوسط يسع 3 أشخاص . جلستُ أنا في الوسط إلى جانب شاب آخر لم يعجبني من البداية , لأنه ظهر لي بأن شكلي أنا المتدين (بلحية) لم يستسغه هو , خاصة وأن أنظار الكثير من الناس – سلطة وشعبا - في ذلك الوقت كانت متجهة إلى الشباب المتدين (الذكور بلحاهم والإناث بحجابهن) .

وفي وسط المسافة بين المدينتين أوقفنا شابة متبرجة جدا في الطريق لتركب معنا من ذلك المكان وحتى مدينة ميلية . أردتُ أن أُلجئها إلى الجهة الأخرى حتى تجلس بجانب الشاب الآخر ولا تجلس بجانبني أنا . ولكن الشاب بدا لي بأنه يريد أن يُحرجني , فأصر هو على أن الشابة تجلس بجانبني أنا . اتجهت المرأة إلى جهتي أنا فرفضتُ أن تجلس إلى جانبي كما رفضتُ أن تجلس بيني وبين الشاب , وأصررتُ على أن تجلس بعيدا عني , وفي الجهة الأخرى من السيارة , ويبقى الشاب بيني وبينها .

انزعج السائق من ترددنا , فقال للشابة غاضبا " ادخلي إلى السيارة بسرعة واجلسي على يمين السيد ... (وكان يقصدني) , وإلا فإنني أواصل سيرتي ولا أنتظرك أكثر مما أنتظرتكِ " . أرادت الشابة الدخولَ فعزمتُ أنا عندئذ على النزول من السيارة حيثُ أعطيتُ تكلفة السفر للسائق أمام اندهائه هو واندعاش بقية الركاب ومعهم الشابة المتبرجة . وقلت للسائق " سألق الله على رجلي أو في سيارة أخرى . لا تقلقوا من أجلي . رافقتكم السلامة . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " !.

انتظرتُ على قارعة الطريق لحوالي نصف ساعة , ثم مرت بي سيارةٌ أخرى ركبتُ فيها حيثُ أوصلتني إلى مدينة ميلية , والحمد لله رب العالمين .

ملاحظة : الموقف المذكور هنا فيه احترام للمرأة وليس فيه أي ازدراء أو احتقار لها . أنا تصرفتُ معها كما تصرفتُ , لأنني أحترم المرأة وأحب لها ما أحب لبناتي ولنساء أهلي . أنا لم أجلس بجانبها ولم أحتك بها , تماما كما لا أحب لأجنبي أن يجلس بجانب ابنتي ويحتك بها .

وقبل أن أختتم أعلق على القصة القصيرة ببعض التعليقات البسيطة :

- 1- حجابُ المرأة يَجْمَلُها جمالا يجعل الرجل يحترمها ويقدرها , وأما تبرجها فيُجْمَلُها جمالا يجعل الرجل يطمع فيها ويشتهيها .
- 2- جلوسُ رجل بجانب امرأة وهو ملتصق بها فخذاً إلى فخذ , جلوس حرام بكل تأكيد , ومن قال " ليس في ذلك شيء " هو إما جاهل أو مخادع .
- 3- من يحرم نفسه من لذة معصية , يعوضه الله غالباً بلذة طاعة هي أكبر وأعظم بكثير من اللذة الأولى .
- 4- السير الحلال راجلاً ولو لعشرت الكيلومترات , هو خير وأفضل بكثير من الركوب الحرام ولو لدقائق معدودات .
- 5- يجب أن يكون المؤمن معتزلاً كل الاعتزاز بدينه " **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** " .
وأما إن سخر منه ساخرٌ فليقل له تلميحا أو تصريحاً " **إن تسخروا منا , فإننا نسخر منكم كما تسخرون** " .
والله وحده الموفق والهادي لما فيه الخير .

58- زواج سهل جدا :

الإسلام في أصله بسيط ولكن الناس بجهلهم عقده , وكذلك هو يسير ولكن الناس بشهواتهم صعبه .

ومن أمثلة ذلك الزواج الذي هو في أصله وكما شرعه الله تعالى في الكتاب والسنة بسيط ويسير ولكن الناس عقده وصعبه . الإسلام رغب في المهر اليسير " **أقلهن مهراً أعظمن بركة** " ولكن الناس غالوا في المهور وبالغوا من أجل التفاخر ومن أجل أشياء أخرى .

والإسلام حبيب في تسهيل إجراءات الزواج إلى درجة أنه يمكن للشخص - في الإسلام - أن يفكر في الزواج صباحاً ثم يدخل بزوجته مساءً نفس اليوم , ولكن الناس وضعوا أمام الزواج العراقيل والأشواك والعوائق إلى درجة أصبح معها الشخص يخطب اليوم ليتزوج بعد سنوات وسنوات .

ومن ذكرياتي المتعلقة بهذا الأمر أقول بأنني ساعدتُ (لعشرات السنين) العديد من الناس - رجالاً ونساءً - من أجل تيسير وتسهيل إجراءات الزواج , ومن أسهل ما ساهمتُ في تسهيله وتيسيره الزواج الآتي :

حوالي عام 1984 م (أي في العام الذي تزوجتُ فيه أنا) طلب مني أحد الإخوة أو الأصدقاء أن أرشده إلى زوجة تليق به وتعيّنه على أمر دينه ودنياه , فدللته على إحدى قريباتي , وقلت

له " هي مؤمنة حيية متأدبة متخلقة جميلة , خفيفة ظل , بارعة في شؤون البيت , صحيحة ... ولكنها لا تعرف القراءة والكتابة " , قال لي " سأعلمها " .

- رآها في بيت أهلي بعد ذلك بأسبوع - لمدة حوالي نصف ساعة - كما هي سنة رسول الله , فقبل بها وقبلت به .

- تم العقد الشرعي بعد ذلك بأسبوع آخر , في بيتي , وأنا الذي قمتُ وأشرفت على عقد الزواج بطلب من الخاطب نفسه .

- حدد موعد الزواج بعد ذلك بحوالي شهر , وتم الزواج والحمد لله بطريقة سهلة ويسيرة , وبتكاليف مادية بسيطة وبعيدا عن التعقيدات التي تعود عليها أغلبية الناس في مراسيم الزواج خاصة .

واليوم لهذا الأخ زوجة تقرأ وتكتب والحمد لله , وله مجموعة أولاد وبنات صالحون وصالحات , والبنات الكبرى تخرجت من الجامعة وهي الأولى في شعبتها من حيث الاجتهاد في الدراسة ... وهي اليوم متزوجة . والزوج والزوجة سعيدان جدا والحمد لله بزواجهما بعد أن بارك الله لهما في البيت والمال والولد .

59- امرأة ساقطة تندم على فوات الزواج ولا تندم على ارتكاب الفاحشة :

يحدث للأسف للكثير من الناس أنهم يرتكبون الحرام ولا يندمون على فعل الحرام بل يندمون على شيء آخر , وفي هذا من الطيش والتهاون في الدين والغفلة عن حدود الله وقلة المراقبة لله ما فيه .

وأذكر بالمناسبة أن امرأة (عمرها حوالي 25 سنة) جاءتني من سنوات لتطلب رقية . قلت لها " لمن ؟ " . قالت " لرجل وعدني بالزواج ثم تراجع " . قلت لها " وما وظيفتي أنا هنا , وما دخل الرقية في هذا الأمر ؟ " . قالت " أريدك أن تعمل له شيئا ليرجع إلي ويتزوجني " .

قلت لها " إذن أنت تطلبيني من أجل سحر عمله له ليحبك ويتزوجك . إن هذا حرام ومنكر . أنا - يا هذه - أرقى الناس ليتخلصوا من السحر ولا أصنع لهم سحرا " .

سمعتُ منها وفهمت منها أنها كانت تعيش مع هذا الرجل (وهو ضابط في الجيش) لحوالي 6 أشهر , من الصباح إلى المساء في بيته (وتقول لأهلها في نهاية كل يوم بأنها ظلت اليوم كله تبحث عن عمل , وأنها ما زالت لم تجد شغلا بعدُ) , وأنه كان يعاشرها من الصباح إلى المساء وكأنها زوجته , وما قدم لها فقط إلا وعدا كاذبا بالزواج . كان يعاشرها ل 6 أشهر على أنها زوجته وهي ليست حتى خطيبته . وفي نهاية سماعي لها قدمت لها النصائح المناسبة , وكان من ضمن ما قلته لها :

ا- الواجب عليها هو التوبة الصادقة من زناها مع هذا الرجل لشهور , لا الندم على أنه كذب عليها ولم يتزوج منها .

ب- هذا الرجل ساقط , ولا يليق بها أن تندم لأنه فاتها الزواج منه .

ج- الرجال – إن كانوا لا يخافون الله تعالى - لا يكذبون في شيء مع المرأة مثلما يكذبون في ادعاء الحب وفي الوعد بالزواج .

د- إن صدقت نيتها وتابت إلى الله بحق , فإنني أتمنى من الله أن يرزقها عن قريب بزواج صالح يسعدها دنيا وآخرة .

ولكن قبل أن تنصرف المرأة علمتُ بأن المرأة ساقطة وأنها تريد أن تبقى ساقطة , بدليل أنني رأيتها بطرف عيني وهي تفتح أقفال فستانها من فوق الصدر ومدت يدها إلى الداخل لتبدأ في حك صدرها بطريقة مفضوحة ولا يمكن أن تكون بريئة , أي بطريقة تريد من خلالها إثارتي . أخذتُ في الحين الكرسي الذي جلستُ عليه ونظرتُ إلى بعيد عنها , وقلتُ لها غاضبا " تفضلي !". قالت " والله يا أستاذ , ما قصدتُ ما فهمتُ أنت , إنني ما قصدتُ إلا خيرا . اسمحلي يا أستاذ , لن أكررها مرة أخرى ". قلتُ لها " تفضلي " , قالت " يا شيخ ... " , فقطعتها " والله إن لم تغادري العمارة خلال دقيقة أو دقيقتين , فإنني سأفضحك أمام كل الجيران " . طأطأت رأسها واحمر وجهها ونزلت من العمارة مسرعة وهي تقول " سامحني سامحني ... " , قلتُ لها " اغربي عن وجهي ... وإن شئت أن تنادي الجيران وتزعمي بأنني أردتُ الاعتداء عليك , فإنني أخبرك مسبقا بأنه لن يصدقك واحدٌ من الجيران , وحتى إن صدقوك اليوم فإن الحقيقة ستظهر ولو بعد حين , لأن حبل الكذب قصير جدا بإذن الله " .

ومما سبق أنا أنصح :

ا- من واجهته امرأة زنى بها مرة من أجل أن يبقى يزني بها باستمرار وإلا فضحته , فالواجب عليه أن لا يستجيب لها وأن لا يزني بها مرة أخرى , لأن الزنا مرة واحدة أفضل له بكثير من الزنا عشرات أو مئات المرات . وكذلك فإن خوفه من الله واكتفائه بالزنا لمرة واحدة يمكن أن يكون سببا في ستر الله عليه في الدنيا قبل الآخرة .

ب- من قالت له امرأة " إما أن تزني بي وإلا فضحتك " كما يحدث في بعض الأحيان , فلا يجوز له أن يزني لأن الله يدافع عن الذين آمنوا , ولأن تعففه عن فعل الحرام يمكن أن يكون سببا في ستر الله عليه بإذن الله .

والله أعلى وأعلم , وهو وحده العاصم من كل شر والموفق لكل خير .

يستحب للشخص أحيانا أن يعالج شيئا بوضه :

ا- يمكن لمن كان مدمنا على شرب الدخان - إن أراد التخلص من شرب الدخان - أن ينتقل إلى الضد تماما , حتى يتمكن تماما من التخلص مما أدمن عليه , وذلك بأن يمزق السجائر الأخيرة ولا يدخل إلى أي محل تجاري يباع فيه الدخان ويقطع صلته تماما بمخالطة أو مصاحبة أي شخص يتناول الدخان , و... وهكذا ...

ب- يمكن لمن يخاف على نفسه من شيء أن يقطع تماما كل الطرق والسبل التي يمكن أن تقربه (لا أن توصله) إلى ما يخافه على نفسه .

ومن هنا أذكر الآن أنني وقبل حوالي 40 سنة (أي عندما كنت طالبا في الجامعة) , كان البعض من زملائي يسيرون - بنية حسنة أو سيئة - أحيانا على طريق تمر أمام بيوت الدعارة (في مدينة قسنطينة) حيث تعرضُ عشرات النساء أجسادهن (شبه العارية) على كل غادي أو رائح من الرجال . أنا الآن أذكر أنني كنتُ دوما أرفض ثم أرفض أن أمر حيث يمرون حتى لا تقع عيني على ما لا يجوز النظر إليه . وكانت نفسي تحدثني أحيانا " يا عبد الحميد أنظر اليوم ولا تنتظر غدا " , ولكنني كنتُ أرفض النظر اليوم وغدا وبعد غد , كما كانت نفسي تحدثني أحيانا أخرى " يا عبد الحميد سر على هذا الطريق , ولا تنتظر , حتى تثبت لنفسك أنك قوي الإيمان ! " , ولكنني كنتُ أرفض هذا المنطق لأن عدم تعريض النفس للبلاء أولى , ولأن النجاح في الامتحان وعدم نظري إلى ما حرم الله غير مضمون , ولأن النفس أمارة بالسوء , ولأن رسول الله ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء .

61- عن غض البصر عن النظر الحرام إلى المرأة :

غض البصر صعب , وأنا أذكر أنني كنتُ أقولُ للتلميذات منذ حوالي 40 سنة " أين نذهب نحن الرجال , وأين نمشي ونتحرك نحن الرجال حتى نسلم من فتنة النساء ؟! " . كنتُ أقولُ لهن هذا الكلام مازحا وجادا في نفس الوقت . قلتُ ذلك جادا , لأننا نحن معاشر الرجال وخاصة بعد أن خرجت المرأة للدراسة والعمل , وأحيانا لقضاء حاجات أو فقط للتسكع في الطرقات , أصبحنا مهما ابتعدنا عن الاختلاط والمثيرات الجنسية , فإننا نجد المرأة أمامنا وفي كل مكان . ونجدها مرة بلباس ساتر ومرة أخرى بلباس فاضح . والرجل يرغب في المرأة ولو كان ساكنا تحت الأرض حيث لا يرى ولا يسمع بأية امرأة. والرجل كذلك يرغب في المرأة في المساء ولو ماتت أمه في الصباح , وتزداد رغبة الرجل في المرأة إن رآها ولو كانت متنقبة, ولكن تزداد رغبته وتشتعل شهوته أكثر إن رآها كاشفة لعورتها أمامه.

قالت لي أستاذة من الأستاذات المتحركات والمتفتحات في يوم ما , وهي تكاد تعترض على الله في أحكام الحجاب وغض البصر والاختلاط و ... المتعلقة بالمرأة وبصلتها بالرجل , قالت

" ما بال الواحد منكم - أنتم الرجال - تفسد أحواله إن رأى امرأة كاشفة لجزء من جسدها , ما الذي يقلقكم في هذا؟! " , وأذكر أنني أجبتها بجواب طويل أكدت فيه على أن هذه الأحكام هي في صالح المرأة أولاً قبل أن تكون في صالح الرجل " . وأذكر أنني قلتُ لها في النهاية " إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم " و " الله أحسن الخالقين " , و " الله لا يريد بعبده إلا الخير " , والله هو " العليم الخبير " وهو " أحكم الحاكمين " و... ولو بدا لك أنتِ غير ذلك يا أستاذة !. وصدق الله تعالى حين يقول " **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟! "** .

ومع كل ما تقدم فأنا أرى أن الرجل بقدر ما كان صادقاً ومخلصاً لله في عزمه على الحلال وعلى غض البصر بقدر ما يعينه الله ويُنزل السكينة والطمأنينة على قلبه . وكذلك فإن حرص الرجل على غض البصر لا يساوي أبداً إطلاق العنان للنظر الحلال والحرام , وما أبعد الفرق بين الطائع والعاصي , وما أبعد الفرق كذلك بين النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء ! . وكذلك يجب على الرجل الابتعاد ما استطاع عن الأماكن التي يكثر فيها وجود المرأة أو اختلاطها بالرجال . ويجب على الرجل كذلك أن يقوي نفسه روحياً , وأن يستغل وقته الفراغ فيما ينفع من أمور الدين والدنيا , وأن لا يترك لنفسه الفراغ من أجل أن يفكر في المرأة والنساء . كما أن على الرجل أن يهتم بالرياضة وبالمطالعة والسماع النافعين , وأن يصاحب الأخيار الذين يذكرونه ويذكرونهم ويعينونه ويعينهم ويقوونهم ويقويهم و... ولا ننسى في النهاية أن ما لا يدرك كله لا يترك جله , وعلينا أن نفكر في الأجر المترتب على غض البصر وكف النفس عن الحرام قبل أن نفكر في الصعوبات المترتبة وفي العقبات المعترضة , وكما يقول المثل عندنا في الجزائر " اللي عول على رمضان , يعول على الجوع والعطش " .

62- نصف حجاب خير من لا شيء :

طالبات في جامعة قسنطينة سألنني عام 1976 م عندما كنتُ في الجامعة وكنتُ أسكن في حي نحاس نبيل (بجانب الجامعة الإسلامية) , حيث كنتُ أقدم دروساً دينية بين الحين والآخر للطالبات في مسجد الحي المقسم إلى قسمين إثنين : قسم للذكور وقسم للإناث , يفصل بين القسمين ستار كثيف يمنع الرؤية من قسم إلى آخر . سألتني بعض الطالبات في يوم من الأيام " ما الحكم فيما فعلناه مع بعض المتبرجات خلال الشهور الأخيرة حين طلبنا منهن نزع الحجاب بالقوة لأن كل واحدة منهن تلبس حجاباً متبرجاً . إنهن بهذا يشوهن صورة الحجاب الإسلامي المعروف عند علمائنا . ما الرأي؟! " . فأجبتهن " لقد أخطأتن بما فعلتن , ومهما كانت نيتكن حسنة فإن فرض نزع الحجاب على هؤلاء الطالبات حرام عليكن . إن نصف حجاب هو خير من لا شيء , والحجاب الكامل هو خير من النصف حجاب , وهكذا " .

وأما تشويه صورة الحجاب عند الغير فنتخلص منه أو ننقص منه عن طريق أشياء أخرى منها التوعية والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و... ولكن لا يجوز أن

يكون طلب نزع الحجاب (مهما كان ناقصا) وسيلة مشروعة لكنّ من أجل الوصول إلى الحجاب الكامل " .

والذي قلته قبل قليل صالح لكل زمان ومكان .
ومنه فالمرأة التي تستر شعرها خير من التي تكشفه .
والمرأة التي تستر الفخذ خير من التي تكشفه .
والتي تلبس اللباس الواسع خير من التي تلبس الضيق .
والتي تلبس اللباس الكثيف خير من التي تلبس الشفاف وهكذا ...
ومنه فإن التي تلبس نصف الحجاب وتستتر نصف الجسد خير بكثير من التي تكاد تكشف جسدها كله .
ولا يمكن أن تستوي هذه مع تلك .
صحيح أننا نتمنى لكل امرأة الحجاب الكامل كما يحب الله ورسوله , ولكن إذا خيرتُ بين نصف الحجاب ولا شيء , فإنني سأختار وبدون تردد نصف الحجاب .
ومنه فأنا لا أقبل أبدا المنطق الذي يقول " إما أن تلبسي الحجاب كاملا وإلا بلاش "!!!.
هذا غير مقبول نهائيا لا مع الحجاب ولا مع غيره من الواجبات الدينية .
كما أنه لا يجوز لنا أن نقول (مثلا) لشخص يصوم ولا يصلي " إما أن تصلي وتصوم ... وإلا فلا داعي لأن تصوم " , فكذلك لا يجوز أن نقول لامرأة " إما أن تلبسي الحجاب الكامل وإلا فالتبرج الكامل هو المطلوب منك "!!!.

63- طول لسان بنت عمرها 5 سنوات ! :

صادفتُ في حياتي أكثر من بنت صغيرة عمرها أقل من 6 سنوات , أي ما زالت لم تدخل المدرسة بعدُ , أريد أن ألاعبَ الواحدة منهن وألطفها فتسبني وتشتمني وتبصقُ في وجهي (أكرمكم الله) , ويمكن أن تكون الفتاة قد تعلمت ذلك من البيت أو من الشارع . ويراهها أبوها تفعل ذلك من بعيد فيجري خلفها ليضربها فأتوسل إليه أن لا يفعل , وأطلب منه أن يخلصها من هذا السوء في الأدب مع الإنسان عموما ومع الكبير خصوصا , أن يخلصها من ذلك بالتدرج لا في الحين , وبالتالي هي أحسن قبل التي هي أخشن .

ولكن كما أن في هذه الدنيا شرا كبيرا فإن فيها الخير الكثير كذلك , وأتمنى أن يكون الخيرُ أكثر من الشر , والصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى يوم القيامة ولكن الغلبة في النهاية بإذن الله للخير , ولو كره من كره .

ومن أمثلة هذا الخير طفلة صغيرة عمرها حوالي 4 سنوات ونصف , جميلة في المنظر وإن شاء الله حلوة في المخبر , تُحبُّ بسهولة , ورأيثُها للمرة الأولى , حملني أبوها معها في سيارته (يوم 2008/10/18 م) لينقلني من مكان إلى آخر داخل مدينة ميلة . وخلال تلك المسافة ولحوالي دقيقتين أو ثلاثة فقط جلستُ مع البنت جلسة طريفة وفيها عبرة وعظة .

قالت لي بداية " ضعني في (حجر ك) يا عمي مادام المكان لا يتسع إلا لشخص واحد يجلس في مقدمة السيارة مع أبي " . قلتُ لها " سمعا وطاعة يا ابنتي " . كانت الفتاة تحمل في يديها علبتي حلوى " Gaufrettes " . ومع أن الأولاد الصغار تغلب عليهم في الصغر وفي الكثير من الأحيان , تغلب عليهم أنانيتهم فإن البنت أعطتني – بدون أن أطلب ذلك – إحدى العلبتين , وقالت لي " كل يا عمي , لا يليق بي أن آكل وحدي وأنت تنظر إلي بدون أن تشاركني في الأكل " , فرحتُ كثيرا بكلمتها وضممتها إلي وقلت لها " شكرا جزيلا لك " , فأجابت بصوت طيب ومبارك وحلو وجميل ورائع يخرج من القلب ويصل إلى القلب " العفو يا عمي " . وبعد قليل عندما هممتُ بالنزول من السيارة لتكمل البنتُ الطريق مع أبيها , قالت لي " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " , فقلتُ " وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته " وانحنيتُ إليها لأقبلها , ثم نزلتُ من السيارة وهممتُ بالابتعاد عنها , فنادتني قبل أن يتحرك أبوها بالسيارة وقالت لي كلمة أفرحتني بها جدا وأضحكتني بها جدا خاصة وأنها تأتي من طفلة صغيرة عمرها لم يصل إلى ال 5 سنوات , قالت لي وبالدرجة الجزائرية " ما تنساش (أي لا تنس) سلم لي على مَرَّتْكَ (أي بلغ سلامي لزوجتك) "!!! . اعتبرْتُ كلمتها نكتة جميلة ورائعة خاصة وأنها واقعية وفيها من العبرة والعظة ما فيها . انحنيتُ إليها مرة أخرى وقبلتها على جبهتها , وقلتُ لها أمام أبيها " ما شاء الله عليك , لا قوة إلا بالله , بارك الله فيك " . وعندما حكيتُ القصة لزوجتي في نفس الأمسية قالت لي " ما شاء الله , لا قوة إلا بالله , نعم هناك والحمد لله بنات حلوات تتكلم الواحدة منهن الكلام الحكيم والجميل والذي لا يقدر على قوله إلا الكبار " , فقلتُ لها " إن كان هذا آت من طول لسان – كما يقول بعضهم - فما أحسن طول اللسان إذا كان طويلا بجمال , وما أسوأ طول اللسان إن كان طوله بقبح " .

64- يا ليت كل زوجين يحرسان على هذا كل الحرص ! :

أ- مهما تعلمنا في هذه الحياة الدنيا سواء من بطون الكتب أو من أفواه الغير مباشرة أو من تجارب الحياة الطويلة والعريضة , فلا يجوز لنا أبدا أن نقول " اكتفينا " , بل يجب أن يكون شعارنا دوما هو " قل رب زدني علما " .

ب- ومهما كنا نعرف أشياء معينة معرفة نظرية فلا قيمة لها إلا إذا التزمنا بها وعملنا بمقتضاها , وعندئذ يكون علمنا مصدر سعادة لنا في الدنيا وحجة لنا عند الله يوم القيامة , وإلا فإن علمنا سيكون نقمة علينا في الدنيا وحجة علينا يوم القيامة . سهلٌ جدا أن نعلم ولكن الخير كل الخير والصعوبة كل الصعوبة والأجر كل الأجر في أن نعمل بما نعلم .

ج- ومهما كنتُ خبيرا إلى حد ما في الكثير مما له صلة بالمرأة في الإسلام , ومع ذلك فإنني أتعلم في كل يوم الجديد من الكون ومن الحياة ومن الإنسان .

وعند ما يُعلِّمك الله شيئاً جديداً ومفيداً ، فإنك قد تتعلمه ممن هو أعلم منك ، وقد تتعلمه من أشخاص بسطاء وعاديين ومغمورين . ومن هنا فإنني أشهد أنني سمعتُ مؤخراً من أحد الرجال (جاءني بزوجته التي كانت منذ سنوات تلميذة عندي بالثانوية ، جاءني بها لأرقبها) ما أعجبني وأفرحني وسرني وتمنيتُ أن أعمل به وأن يعمل به كل زوجين اليوم وغداً وإلى يوم القيامة . قال لي هذا الأخ الفاضل وهو يتحدث عن علاقته بزوجته " أنا يا أستاذ اتفقتُ مع زوجتي - التي تزوجتُ بها منذ سنوات - منذ ليلة الدخول على شيءٍ ما زلنا أنا وإياها ملتزمين به حرفياً وحتى اليوم " ، قلتُ " وما هو يرحمك الله؟! " ، قال " اتفقنا على أن ننهي أي خلاف يمكن أن يكون بيننا في النهار ، أن ننهيه قبل النوم من كل ليلة : إما أن ترجع هي إلي أو أرجع أنا إليها ، سواء كان رجوع الواحد منا للآخر باعتذار صريح ومباشر أو باعتذار غير مباشر " . قلتُ له " وأنتما ملتزمان بهذا إلى اليوم؟! " ، قال " نعم وحرفياً ومنذ دخولي على زوجتي وإلى اليوم . لم يحدث أبداً - ولو في ليلة واحدة - أن نمنا أنا وإياها ونحن مختلفان أو متهاجران " . قلتُ له ولنفسى في نفس الوقت " هذا أمر رائع جداً ، كم أتمنى أن يلتزم به كل زوجين مسلمين " .

صحيح أن هناك عوامل مساعدة على تحقيق هذا الأمر قد تتوفر لزوجين وقد لا تتوفر لزوجين آخرين ، ومع ذلك فإنني أرى أنه مطلوبٌ من كل زوجين في الدنيا أن يتمنيا وأن يدعوا الله وأن يسعيا لتحقيق هذا الهدف الغالي والرائع والجميل والعزيز ، والذي يتمثل في أن الزوجين لا ينامان أبداً إلا على وفاق .

65- نغير السقف أفضل أم نغير العين؟! :

قالت لي إحدى محارمي من النساء في يوم الأيام " يا ليت زوجي يصلح لنا كذا وكذا من أمور البيت . هو يعتذر دوماً بأنه لا يقدر على ما أطلب أنا منه ، وأنا أرى من جهتي بأن من واجباته الأساسية أن يوفر لنا ما نريد " .

قلتُ لها " مطلوب من الرجل أن يوفر لزوجته وأهله وأولاده ما يريدون في حدود استطاعته ، ويحرم على المرأة أن تكلف زوجها ما لا يطيق " ، ثم سألتها " ما أردت من زوجك مثلاً؟! " ، قالت " طلبت منه أن يهدم سقف الحجرة كذا ... ثم يبنيه من جديد بشكل أحسن وأفضل ... " ، قلتُ " لماذا؟! " ، فقالت " ألا ترى تلك الخدوش الموجودة في السقف ، ألا تتطلب أن يغير - بسببها - السقف من الأساس؟! " . نظرتُ إلى السقف فرأيت السقف على أحسن حال تقريباً . وأما الخدوش التي أشارت إليها المرأة فلا تتطلب أبداً تغيير السقف من أصله، ولكنها تحتاج من بناء عمل ساعة أو ساعتين فقط، بتكلفة أقل بكثير من تهديم السقف وإعادة بنائه " .

قلت لقريبيتي " يا فلانة أنا أرى أنه يجب تغيير العين لا السقف " , ففهمتُ قصدي وقالت " أنا أرى أن تغيير السقف أفضل " , قلت لها " بل إن تغيير العين أفضل بإذن الله عند الله وعند الزوج وعند أغلب الناس " .

قالت " كيف؟! " .

قلتُ لها : لو كان زوجك قادرا على ما طلبتِ منه , فإننا قد نختلف في أيهما أفضل (يلبي لك طلبك أم لا؟!) . وأما وهو غير قادر , فإنه لا يجوز لنا أبدا أن نختلف , بل يجب أن نتفق جميعا على أن الأفضل أو الواجب أن لا يلبي لك طلبك .

إذا غيرنا السقف فإننا سنطلب بذلك من الزوج ما لا يطيق ويضطر من أجل ذلك إلى الاستدانة التي فيها من الحرج ما فيها , أو يضطر إلى جلب المال من الحرام وفي ذلك من الإثم والعدوان ما فيه .

ثم إن الزوج الذي تكلفه زوجته ما لا يطيق قد يكرهها ويبغضها مع الوقت ويصبح مندفعاً بشكل تلقائي وعفوي وبلا شعور إلى أن ينتقم منها بالإساءة إليها بالقول أو العمل , بالطرق المباشرة أو غير المباشرة . كل ذلك من أجل ماذا؟! , والجواب : من أجل أمر كمالى جدا طلبته منه زوجته وهو ليس ضروريا البتة .

وأما إذا عملنا من أجل تغيير العين أي تغيير الطريقة التي ننظر بها – بالعين أو بالبصيرة لا البصر - إلى الأشياء وحرصنا على القناعة وعلى إيثار الدين على الدنيا وحرصت المرأة على حسن معاملة زوجها وتقدير ظروفه وعلى أن لا تطلب منه إلا ما يقدر عليه ووقفت معه في السراء والضراء قولا وعملا , ونظرت في أمور الدنيا إلى من هي دونها وفي أمور الدين إلى من هي أحسن منها , ونظرت إلى ما أعطاه الله أكثر مما تنظر إلى ما حرّمها الله منه , ونظرت إلى الأشياء الجميلة في الحياة أكثر من النظر إلى الأشياء السيئة فيها , و... فإنها ستسعد وستسعد زوجها وكل من حولها , سعادة في الدنيا قبل سعادة الآخرة بإذن الله تعالى .

ثم إن تغيير السقف يتطلب مالا لا يقدر عليه الزوج , وأما تغيير العين أو البصيرة فيتطلب فقط إيمانا و يقينا وعزيمة وإرادة تقدر عليها المرأة بإذن الله إن أرادت .

ولذلك فأنا أصر على ما قلته لهذه المرأة وأقوله دوماً لنفسي على سبيل النصيحة " إن تغيير العين أسهل وأفضل وأطيب بكثير من تغيير السقف " .

والنصيحة التي ذكرتها أعلاه لا تعني امرأة بعينها بل تعني أغلبية النساء , لأن نقطة ضعف المرأة الأكبر في كل زمان ومكان هي المال , بل إنها نصيحة لنا جميعا - رجالا ونساء - من

أجل أن يكون تعلقنا بالدين أكثر من تعلقنا بالدنيا " **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** " .

والله وحده أعلم بالصواب , وهو وحده الموفق والهادي لما فيه الخير .

نسأل الله أن يغلبنا على أنفسنا وعلى الشيطان , وأن يبارك لكل زوج في زوجته , آمين .

66- رفضتها في القسم بسبب لباسها الفاضح ! :

أيام قليلة قبل هذه الحادثة التي أريد أن أقصها هنا , قال لي السيد مدير الثانوية التي أعمل بها " والله يا أستاذ لو أطبق القانون المدرسي على تلميذات الثانوية لطردتُ نصفهن بسبب هياتهن ولباسهن المخالف للقانون , ولكنني لم أفعل ذلك فقط خوفاً من أن أتهم بأنني إرهابي !!!

حوالي سنة 1999 م وفي شهر أفريل , أي قبل نهاية السنة الدراسية بحوالي شهر , دخلتُ عندي إلى القسم تلميذة من التلميذات بالثانوية التي أدرّسُ بها مادة العلوم الفيزيائية منذ 1978 م , دخلتُ إلى القسم بلباس فاضح (لباس يكشف كل الساقين , والجزء العلوي من الفستان القصير به شقٌّ يجعل جزء لا بأس به من فخذي التلميذة مكشوفاً عندما تجلس التلميذة في مكانها على الكرسي) .

عندما رأيتُ التلميذة داخلة بهذا اللباس الفاضح , قلتُ لنفسي " سأنبهها في نهاية الحصة , حتى لا ترجع إلى القسم بهذا اللباس مرة أخرى " , ولكن وقع أثناء الحصة أن التلميذة عندما جلستُ في مكانها وضعتُ رجلا على رجل , فأصبحتُ مساحةً المكشوف من فخذيها أكبر وأكبر , ولاحظتُ أن بعضَ التلاميذ الذكور أصبح الواحد منهم بعين واحدة مع التلميذة وبالعين الأخرى مع الدرس في السبورة , أو أن بعض عقل الواحد منهم كان معي ولكن أكثر العقل كان مع التفرج على عورة التلميذة .

عندئذ عزمْتُ على إخراج التلميذة من القسم فوراً .

ملاحظة : لقد نبهتُ التلميذات من قبل مرات ومرات إلى اللباس الذي يحبه الله لهن وكذا الذي يسمحُ به القانون , واستجابت أغلبية التلميذات للباس الحجاب الشرعي , ولم تستجب الأقلية منهن ولكنهن كن مع ذلك يلبسن لباساً محتشماً مقبولاً قانوناً حتى وإن كان مرفوضاً شرعاً , وأصرتُ هذه التلميذة بالذات ومن دون سائر التلميذات على العناد و " تخشان الراس " , بحيث لا تريد أن تلبس لباساً يوجبها الشرع ولا لباساً يفرضه القانون المدرسي .

طلبتُ من التلميذة أن تخرج من القسم في الحين وأن لا تعود إليه في حصة أخرى إلا وهي مرتدية للباس محتشم . حاولتُ أن تعترضَ ولكنني ألححتُ عليها أن تخرج . خرجت التلميذة غاضبة , وفي الغد رجعتُ إلى القسم بنفس اللباس , فطلبتُ منها أن تخرج للمرة الثانية من القسم , ولكنني قلتُ لها في هذه المرة " لن أقبلك في القسم في أي يوم من الأيام إلا وأنت

لباس محتشم . وإن تدخلت الإدارة لصالحك أنتِ فإنني سأوقفُ عن تدريس القسم كله , وليكن ما سيكون حتى ولو توقفتُ عن التدريس نهائياً بسببك أنتِ . والله يا فلانة (إن بقيتِ لباس مثل هذا) إما أنا الذي أبقى مع هذا القسم بدونك أنتِ , وإما أنتِ التي تبقيين معه ولكن بدوني أنا . والله لن يظلنا - من اليوم فصاعداً - قسمٌ أكون فيه أنا وأنتِ سوياً . هذا مستحيل بإذن الله تعالى " . أخرجتُ التلميذة من القسم , ولكنها وهي خارجة من الثانوية التقت بشخص من الإدارة (هو الوحيد في الثانوية الذي يكرهني) فسألها عن سبب خروجها من القسم فأخبرته بالخبر . لو ذكرتُ له إسماً لأي أستاذ آخر بالثانوية ما اعترض ولكنها لما ذكرتُ له " الأستاذ رميته " فرح وكأنه وقع على صيد ثمين .

جاء بها إلى القسم وناداني وطلب مني أن أرجعها إلى القسم , فرفضتُ . قال لي " اتركها اليوم في القسم , وستغير لباسها في الغد " , قلتُ له " لقد حذرتها بالأمس فما استجابت بل إنها أصرت واستكبرت " . قال لي " سترجعُ إلى القسم الآن شئتُ أنتِ أم أبيتَ " قلتُ له " لن ترجع بإذن الله " . عندئذ قال لها " ادخلي إلى القسم ولا تلتفتي إلى ما يقوله لك الأستاذ رميته " !!! .

دخلت التلميذة إلى القسم ودخلتُ معها لأخذ أنا محفظتي وأودع التلاميذ قائلًا لهم " من اليوم فصاعداً : إما أنا وإما زميلتكم " ! . خرجتُ من القسم , وسمعتُ فيما بعد أن التلميذة - وبعد خروجي مباشرة - قالوا لزميلتهم " إما أنتِ وإما نحن . ستخلعين لباسك هذا خلال يوم أو يومين , وإلا سنتركك في القسم وحدك " .

في الغد استدعاني السيد " الإداري , والذي أصر على إدخال التلميذة إلى القسم بدون إذني وبالرغم عني " إلى الإدارة , حيث وجدتُ عنده ولي التلميذة (وهو الولي الوحيد الذي سبني من بين آلاف الأولياء الذين عرفتهم خلال 35 سنة من التعليم , حيث أن جميعهم - والحمد لله - يعتبرونني أبا ثانياً لولد أو بنت كل واحد منهم) .

سألني الولي " لماذا أخرجتِ التلميذة من القسم؟! " , فقلتُ له " السبب هو كذا " , وأضفتُ قائلاً " يا فلان أنا فعلتُ ما فعلتُ مع التلميذة - مهما قسوتُ معها - كما يفعل الأبُ مع ابنته . أنا حريصٌ على شرفها وحياتها وأدبها وأخلاقها كما أحرص على ذلك عند ابنتي . أتساهلُ معها وأنا أحبها , وأتشددُ معها وأنا أحبها ذلك " .

ولكنني فوجئتُ بالولي يقول لي ما لم أسمعته من غيره من قبل " أنا ملحدٌ , وأنتِ لا يجوز لك أن تتدخل في دين التلميذة ولا في لباسها !!! . إذا أرادت التلميذة أن تلبس " الميني جيب mini-jupe " , فلا دخل لك أنتِ في لباسها أبداً . أنتِ أستاذ علوم فيزيائية , فما دخلك أنتِ في الدين وفي لباس التلميذات؟! . وإذا أرادت التلميذة أن تدخل إلى القسم عارية تماماً وكيوم ولدتها أمها , ما دخلك أنتِ ... " !!! . تحدثتُ وتكلمتُ بكلام مثل هذا لمدة حوالي 10 دقائق , تكلم بكلام لا يقوله حتى أولاد الشارع , وحتى الفساق والفجار والضالون والمنحرفون , بل لا يقوله حتى الكافر الحر الذي له بعض الضمير وبعض " النيف " . وكعادتي مع من يسيء إلي

ضبطت أعصابي وتركته حتى انتهى من كلامه , ثم قلتُ له " سامحك الله وهداك إلى صراطه المستقيم , ولكنني أقول لك فقط كلمة واحدة ثقيلة ولكنها حقيقية : لا يقول الذي قلته أنت لي الآن , لا يقوله أي رجل حر سواء كان مسلماً أو كافراً . الرجل الحر مهما لم يغر على نساء الغير ولكنه يغار على نساء أهله هو . ثم أنا مُرَبِّ قبل أن أكون مُعلماً , وأنا والله أحببتُ وما زلتُ أحبُّ لابنتك خير الدنيا والآخرة مهما غضبتَ أنتَ مني وقلتَ لي ما لا يجوز أن يقول واحد من البشر" . والغريب أن التلميذة كانت أمام وليها وهو يسبني ويشتمني , ولم تحرك ساكناً , وكان الأولى بها أن تقول لوليها " هذا يبقى أستاذي , وهو عوض أبي . أنتَ أبي الأول وأستاذي هو أبي الثاني . قسا معي الأستاذُ , ولكنه مع ذلك يبقى عوض أبي , ومنه فأنا لا أقبل أبداً أن يُسب ولو من طرف أبي خاصة إن حدث ذلك أمامي " . بقيت التلميذة تنفرج على أبيها وهو يسب ويشتم وكأنها تتشفي في !!!.

بعدما قال لي الولي ما قال , وبعد وقوف التلاميذ أمام ذلك موقف المتفرج , أخبرتُ الإدارة بأنني لن أقبلَ بعد اليوم , لن أقبل تلك التلميذة في قسمي حتى تنتهي السنة الدراسية . حاولت التلميذة ووليها – بعد كل الذي وقع - أن تبقى التلميذة في قسمي , ولكنني رفضتُ وأصررتُ على الرفض .

اضطرت الإدارة لأن تعقد اجتماعاً خاصاً بهذه التلميذة , وتم الاتفاقُ في نهاية الاجتماع على أن تُحوَّل التلميذة إلى قسم آخر تكمل من خلاله السنة الدراسية.

وفي العام المقبل حاولت التلميذة ووليها من أجل أن تدرس التلميذة عندي , ولكن الإدارة رفضت ذلك , لأنني أخبرتُ الإدارة – مسبقاً - بأنني لن أقبلَ أبداً تدريس أي قسم تدرسُ فيه هذه التلميذة .

وبعد سنوات من هذه الحادثة سمعتُ أن تلك التلميذة هداها الله إلى لبس الحجاب وتابت إلى الله واستقام أمرها والحمد لله رب العالمين , أسأل الله لها خير الدنيا والآخرة وسامح الله وليها وهداه إلى السبيل الحق , آمين .

وفي النهاية أنا أذكر هنا بعض العبر والدروس البسيطة التي يمكن أن تستنبط مما حكيتُ :

- 1- الأستاذ يجب أن يكون مربياً قبل أن يكون معلماً , ولا قيمة كبيرة لتعليم بدون تربية .
- 2- ما أبعد الفرق بين من يتعامل مع التلميذ على اعتبار أنه ابنه , ومن يتعامل مع التدريس فقط على اعتبار أنه وسيلة لكسب ربح وأجر دنيوي أكبر .
- 3- حجاب التلميذة أو على الأقل لباسها المحتشم مهم جداً للتلميذة ولمجموع التلاميذ وللتعليم والتربية ولكل المنظومة التربوية . ولا يجوز أبداً أن يعتبر لباس التلميذة أمراً ثانوياً لا قيمة له .

4- من أراد أن يدعو إلى الله تعالى وأن يجاهد في سبيل الله لا بد أن يكون مستعداً لأن يصاب بالكثير من الأذى يناله من أصدقاء أو من خصوم . وأما أن يطلب المؤمن البطولة والشرف والعظمة والأجر الكبير من الله وسعادة الدارين وهو يرفض أن يؤذى في سبيل ذلك , فهو بذلك كمن يزرع في واد أو ينفخ في رماد .

5- عندما تحرص على إرضاء الله فإن البعض من الناس قد يغضبون عليك في وقت من الأوقات ولكنهم سيحترمونك حتماً في أعماق أنفسهم, وسيرضون عنك بإذن الله ولو بعد حين.

67- لا بد أن تبحث عن السبب غير المباشر ! :

نلاحظ في الكثير من الأحيان أحداثاً معينة خلال حياتنا اليومية نرى من خلالها أشياء ونسمع أشياء أخرى لا نفهمها ولا نعرف مغزاها ولا الداعي إليها , ونتعجب : إما بيننا وبين أنفسنا , أو نتعجب مع القريبين إلينا من الناس , نتعجب " لماذا وقع كذا , وما السبب فيما حدث ووقع ؟! "

نبحثُ ثم نبحث , فلا نجد سبباً معقولاً ومنطقياً لما وقع أمامنا . نعصرُ الذهن وننشطه , ونحلل ونناقش و ... ومع ذلك لا نجد سبباً مقنعاً مهما كان بسيطاً لما وقع أو يقع أمامنا . والحقيقة أننا لم نفهم ولم نجد تفسيراً لما وقع , لأننا بحثنا فقط عن الأسباب المباشرة الممكنة ولم نهتم بالأسباب غير المباشرة التي قد تكون هي الحقيقية .

إن السبب فيما وقع غير مباشر ولذلك لم ننتبه نحن إليه , ومنه فما أحوجنا إذا أردنا أن نفهم كما ينبغي الكون والحياة والإنسان , وأن ننتفع بما نفهم , ما أحوجنا إلى أن نبحث عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة لما يقع ويحدث أمامنا .

ومن أجل توضيح ما قلته هنا :

مثال : قالت لي امرأة في يوم من الأيام :

1- أنا لا أدري لماذا يفلق زوجي من صلاتي المفروضة أو من صلاة النافلة؟! . كلما رأني أصلي احتج علي – رغم قيامي بحقوقه علي وزيادة – بمثل قوله " أهذا قيام ليل أم ماذا؟! " , " أنت تصلين وكأنك تعتبرين نفسك أتقى امرأة في الدنيا؟! " , " هيا أسرعي . اعطني غذائي . الوقت الآن ليس وقت صلاة " , " والله إذا لم تحضري لي القهوة خلال 5 دقائق سأفعل لك كذا وكذا ...!!! "

2- أنا لا أدري لماذا ينزعج زوجي من قراءتي للقرآن الكريم من المصحف . كلما رأني – يومياً في الصباح وفي المساء – أقرأ القرآن احتج علي بمثل قوله " ليس في الدنيا غير القرآن يا هذه ... " , " القرآن لن يجلب لنا أكلاً أو شرباً ... " , " هذا ليس وقت قرآن , وإنما هو وقت أكل وشرب " , " والله إن لم تحضري لي أكلي خلال دقائق قليلة سأخذ منك

المصحفَ وأخبئه في مكان لن تستطيعي الوصول إليه أبداً " , " هيا أسرع اعطني اللباس كذا وكذا ... أنا مشغول " , " ما هذا القرآن الذي أراك تقرئينه في كل وقت " ؟!

3- أنا لا أدري لماذا ينزعج زوجي من تتبعي لأي برنامج ديني على التلفزيون ؟! . كلما رأني - تقريبا - أفرج على برنامج ديني في قناة اقرأ أو ... فسدت أحواله وتجهم وجهه واتجه بعصبية إلى التلفزيون ليطفئ الجهاز أو ليغير القناة إلى ما فيه رياضة أو غناء أو أفلام رعب أو ... ويقول لي " درس الجمعة يسمعه الناس مرة واحدة في الأسبوع , ولا يُقبل أبداً أن نبقي طيلة الأسبوع مع الدروس الدينية يا امرأة ...!" .

وهكذا ... تحكي لي المرأة الكثيرَ عن انزعاج زوجها من كل ما هو ديني , ثم تقول لي " أنا لا أدري يا شيخ لماذا يفعل زوجي ويقول لي كل ذلك ؟!" .

وأنا أجبته على سؤالها بجواب جاء فيه أو منه " أنت تبحثين عن السبب المباشر , ولذلك لم تجدي سببا , وأما لو نبحتُ سويا عن السبب غير المباشر , فسنعرف بكل سهولة سبب انزعاج زوجك من كل ما هو ديني أو له صلة بالدين . وإذا عُرف السبب الحقيقي بطل العجب . إن الأمر بسيط ومفهوم . إن زوجك لا يصلي , وهو يتتبع من زمان عورات النساء الأجنبية , بل هو زان كما تعلمين أنتِ , بل هو يعترف لك بذلك , وزوجك يسرق بسهولة ويكذب ويخون وكأنه يشرب ماء !. إذا كان هذا هو حال زوجك , فمن الطبيعي جدا أن ينزعج من كل ما تفعلينه أنت مما يذكره بالله واليوم الآخر . إنه ما زال حتى الآن منغمس في الشهوات والأهواء وهو - حاليا - لا يريد أن يتوب , مهما نصحه ناس وناس , بل إنه - حاليا - يغضب ممن ينصحه . ومنه فإنه يعتبرك تنصحينه ولو بطريقة غير مباشرة عن طريق الصلاة والقرآن والدروس الدينية . إنه لا يريد أن يتذكر الصلاة لأنه لا يصلي , وهو - حاليا - لا يريد أن يصلي . وهو لا يريد أن يراك تقرئين القرآن لأن القرآن يقول له مثلا " لا تقربوا الزنا , إنه كان فاحشة وساء سبيلا " , وهو يرى أن في الزنا متعة لا تعادلها متعة (!) . وهو لا يقبل منك أن تسمعي دروسا دينية في التلفزيون أو من خلال أشرطة أو أقراص أو ... لأن كل هذه الدروس تقول له بأنه فاسق فاجر, وأن عليه أن يتوب إلى الله وهو - حاليا - لا يريد أن يتوب , وهكذا ...

يا أختي الفاضلة إن زوجك ينزعج من الصلاة والقرآن والدروس الدينية , لأنه - باختصار - يرى كل ذلك منك نصحا غير مباشر له بأن يتوب إلى الله , وهو - حاليا - ليس عنده أي استعداد لأن يتوب . ولو ذهبتِ أختي الكريمة إلى امرأة أخرى متزوجة برجل صالح , فإنك ستلاحظين أن زوجها يفعل معها عكس ما يفعله معك زوجك , بمعنى أن زوجها يفرح كثيرا عندما يراها تصلي وتقرأ القرآن وتسمع الدروس الدينية و.... سيفرح وسيشاركها في عباداتها بطريقة أو بأخرى , وسيعتبر أن هذه نعمة كبيرة أنعم بها الله عليه . إن زوجك كلما أقبلتِ على الدين انزعج أكثر وأساء إليك أكثر , وأما زوج الأخرى فكلما أقبلتِ هي على الدين فرح أكثر وسعد أكثر وأحسن إليها أكثر .

68- حتى اليهودية , مطلوب منك أن تدافع عنها ضد من يريد الاعتداء على شرفها :

قلتُ يوم (3 / 2 / 2009 م) أمام التلاميذ الذكور – بالثانوية - الكلمة التي أقولها لهم باستمرار ولا أمل من قولها " إن الذكور كثيرون , ولكن الرجال قليلون . وإن الواحد منكم لن يكون رجلا إلا إذا حرص على أن يدافع عن المرأة – كل امرأة - كأنها أخته بالضبط " .

فقال لي أحدهم " يا أستاذ أنا لا أقبل أبدا أن أدافع عن امرأة إلا إذا كنتُ أعرفها وأعرفُ بأنها مستقيمة وعفيفة وطاهرة وطيبة ومباركة و...!!! " .

فأجبتُه بما يلي :

1- يجب أن يكون الواحد منا صريحا مع نفسه كل الصراحة , لأن الرجل أحيانا يزعم أنه مستعد للدفاع عن شرف المرأة وهو في حقيقة الأمر واحد ممن يلطخون هذا الشرف , بل إن من المضحكات المبكيات في عالم الناس اليوم أن أكثر من رجل أعرفه يدعي – كذبا وزورا - لفتاة ما بأنه يحبها ويريد أن يتزوج منها ومنه فهو لا يسمح لها أن تُكلم ولو رجلا واحدا (غيره هو) ولو بكلام عادي ولو تم هذا الكلام أمام الناس وبلا خلوة و... ثم تجده هو في المقابل يزني بها مرات ومرات بلا أدنى حرج عنده أو عندها . يحدث هذا كما يحدث مع من يُحكي عنه بأنه زنى بامرأة (ولم يفكر في الحرام) ثم لم يعزل ماءه عنها , فسئل عن ذلك " لم لم تعزل حتى لا تُفضح بحمل المرأة منك ؟! " , فقال " لأنني سمعتُ بأن العزل مكروه في الإسلام " !!! .

2- ثم يجب على أي واحد منا – معاشر الرجال – إن انتقدنا المرأة أن ننتقدها من باب النصيحة لها لا من باب التشهير بها , ولنعلم أن الرجل مكملٌ للمرأة وهي مكملَةٌ له , وفي كل خير بإذن الله , و" إن أكرمكم عند الله أتقاكم " رجلا كان أو امرأة .

3- ثم من أين جاء هذا الشرط الذي يتمثل في أنه لا يجب علي أن أدافع عن شخص إلا إن كان مستقيما ومؤمنا وطيبا ومباركا و...؟! . إن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما وقال " لا تظالموا " , ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يدافع عن المظلوم حتى ولو كان كافرا . ثم لو انطلقنا من هذا المنطلق واعتبرناه صحيحا , وقلنا " لن ندافع عن أحد إلا بعد التأكد من أنه مستقيم مؤمن ومسلم و... " , فإن الدفاع عن المظلوم وإنكار المنكر سيسقط تلقائيا عندئذ ولن يبقى واجبا من واجبات المسلم المؤمن , لأنه لا أحد من البشر في الدنيا كلها , معصوم عن المعصية والظلم والإثم والعدوان , إلا الأنبياء عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام .

4- ثم إن معرفة حقيقة المظلوم إن كان مستقيما طائعا أو منحرفا عاصيا , تتطلب وقتا وجهدا وبحثا هنا وهناك مع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء والسلطات المدنية والجنائية و... ومن البديهي بمكان أن نقول بأنه لا يمكن شرعا وعقلا ومنطقا أن نبحث ساعات وأياما

وأسابيع... حتى نطمئن على سلامة اعتقاد وسلوك الشخص , ثم بعد ذلك نجري لننصره على من ظلمه !.

5- صحيح أن حد قذف المحصنات مثلا لا يطبق - كما قال كثير من الفقهاء - على شخص القاذف إن لم يأت ب 4 شهداء , إلا إن كانت المرأة المقدوفة عفيفة وطاهرة وشريفة . وأما إن تم قذف امرأة سيئة السمعة فإن شخص القاذف قد يُعزر ولكن لا يقام عليه حد القذف إن لم يأت ب 4 شهداء . ولكن هذه مسألة وما نتحدث عنه في موضوعنا هنا مسألة أخرى . نحن نتحدث عن امرأة يريد رجال سقاط أن يزنوا بها أو يغتصبوها , هل يجب أن ندافع عنها مهما كانت في حياتها اليومية : طائعة أم منحرفة؟! . والجواب المؤكد هو أنه يجب على كل مسلم قادر على الدفاع أن يدافع عن هذه المرأة حتى لا يعتدى أحد على شرفها .

6- مطلوب منا أن ندافع - كمؤمنين ومسلمين - عن الشرف والكرامة والعفة للمرأة مهما كان سلوكها , ومطلوبٌ منا كذلك أن ندافع عن الشرف والعفة والكرامة لوجه الله أو لا قبل أن يكون لوجه المرأة المراد ظلمها والاعتداء عليها . وإن مات الواحد منا وهو يدافع عن هذه المرأة فهو بإذن الله عند الله شهيد .

7- المرأة اليهودية المدنية على أرض فلسطين حتى ولو لم تكن محاربة هي - كما يقول الكثير من علمائنا - عدوة , وهي جنديّة من جنود بني صهيون المحتلين لأرض فلسطين الطاهرة , ومنه فيجب على أي مسلم استطاع أن يصل إليها ليقتلها أن يقتلها , وله إن شاء الله على ذلك الأجر الكبير عند الله تعالى .

وأما المرأة اليهودية المسالمة التي تعيش مثلا في بلد من بلادنا العربية الإسلامية (كالجزائر مثلا) كمواطنة عادية " وأهل ذمة " , إن أراد ساقط من الرجال أن يعتدي على شرفها وأحب أن يغتصبها , فإنه يجب على كل مسلم قادر أن يدافع عنها ضد من يريد تلويث شرفها ولو أدى به ذلك إلى أن يموت في سبيل ذلك شهيدا بإذن الله .

يجب على كل رجل مسلم أن يدافع عن المرأة المراد الزنا بها , مهما كانت هذه المرأة منحرفة أو كافرة أو نصرانية , بل حتى ولو كانت يهودية .

والله وحده أعلم بالصواب .

69- امدح المرأة ولكن باعتدال ! :

جاءتني امرأة حوالي 1993 م (مات عنها زوجها حديثا) من أجل أن أرقبها . رقيتها وأثناء الرقية أو قبلها أو بعدها ذكرتها ببعض الخير ومدحتها من أجل تشجيعها على الصبر عن وفاة زوجها ومن أجل أن تخلفه بخير ومن أجل أن تجتهد ما استطاعت في عبادة الله , خاصة وعندها الكثير من وقت الفراغ لأن زوجها لم يترك لها ولدا . مدحتها بقصد حسن , ولكن ربما لم أنتبه إلى أنني بالغت في ذلك قليلا . ولم أنتبه أنا إلى ذلك وإلى خطئي هذا إلا بعد

شهور , حين سمعت ممن أثق فيها من النساء أن تلك المرأة التي رقيتها قالت لأختها ولل بعض من صديقاتها قولاً منكراً ربما سببه من جهة مبالغتي في مدحها لدقائق عندما أتتني مع أختها من أجل رقية , وربما أن سببه من جهة أخرى هو أن من طبعها أن تقابل إحسان الغير إليها بالإساءة لا بالإحسان . وعندما سمعتُ بمقاتلتها المنكرة , أنا أعترف أنني تمنيتُ أنني لم أرقها أساساً وأصلاً , ولكن من أجل وجه الله كل شيء يهون . عزمْتُ بيني وبين نفسي أن أنبهها في يوم من الأيام إن أتيت لي الفرصة , أن أنبهها إلى أنني سمعتُ بمقاتلتها المنكرة وأني ألومها على ذلك بطريقتي الخاصة (وإن كنتُ مسامحاً مع ذلك دنيا وآخرة) .

مضى على هذه الحادثة حوالي عام وفي يوم من الأيام دقت علي باب بيتي امرأتان , وعندما فتحتُ الباب وجدتُ أمامي نفسَ المرأة ومعها نفسَ أختها . جاءت المرأة من جديد لتطلبني من أجل رقية , على اعتبار أنها استفادت في العام الماضي كثيراً من رقيتي لها . وعلى خلاف عادتني استدرتُ إلى جهة أخرى وأعطيتها جنبي , وكأني أقول لها " أنا أريد الانصراف عنكما " . قلتُ لها " يمكنك أن تتصلي بفلان من أجل أن يرقيك . الخير فينا كلنا بإذن الله , ونحن لا ندري من يكون سبباً في شفائك أنتِ . شفاك الله وعافاك ووفقك الله لكل خير " . قالت لي " ولكنني أريدك أنتِ بالذات لترقيني " , قلتُ لها كلمة ما تعودتُ أن أقولها لغيرها " ولكنني لا أريد أن أرقيك أنا , بل أريد لغيري أن يرقيك . أنت تريدينني أنا , وأنا أريد لكِ غيري " , قال متوسلة وراجية " رجاء يا شيخ لا تردني ! " . قلتُ لها " أنا آسف . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

آه أنا لم أذكر حتى الآن ما قالته هذه المرأة عني بعد رقيتي لها . لقد قالت كلمة ما قالتها عني امرأة أخرى من قبل أو من بعد , لأن النساء تعودن على التعامل معي حتى من قبل زواجي بسنوات وسنوات على أساس أنني أستاذ يأخذن مني العلم والنصح والتوجيه ولا تتعاملن معي عادة على أساس أنني رجل وهن نساء , والحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى . الكلمة التي اعتبرتها منكرة والتي قالتها عني تلك المرأة سامحها الله وهداني وإياها إلى ما فيه خير الدارين هي " علمتُ من خلال مدح الأستاذ رميته لي , أنه معجبٌ بي وأنه يحبني " !!! . وصدق من قال عندنا في الجزائر " همُّ يضحك وهمُّ يبكي " !!! .

70- كم هذا الذي حدث بشع جداً (زنا المحارم) ! :

ممارسة الرقية لأكثر من 30 سنة أفادتني كثيراً , حيث تعلمتُ منها الكثير الكثير . ومما تعلمتُ منها : تعلمتُ جوانب مهمة في علم النفس والتربية , وتعلمتُ الكثير عن طبائع الناس التي هي أشكال وألوان , وعرفتُ من خلال ذلك كذلك الطيب والخبيث , وعرفت المسالم والعنيف والساذج والماكر و ... وعرفتُ الذي يكاد يكون ملاكاً في طهره وعفافه وصدقته وإخلاصه والآخر الذي يكاد يكون شيطاناً مريداً في مكره وانحرافه وضلاله وخبثه ...

ومن أسوأ ما عرفتُ من سلوكات طائشة ما تعلق بزنا المحارم :

جاءتني شابة حوالي 1995 م مع أبيها وأمها من أجل أن أرقبها هي , على اعتبار أنها أصبحت ومنذ شهور تعاني من جملة أعراض منها الأرق والصداع وأوجاع في جهة المعدة وخلعة ووساوس وقلق كبير واكتئاب زائد وأوجاع في أجزاء أخرى من الجسم وتكاسل غير عادي في الدراسة واضطراب مفاجئ في أداء الصلوات الخمس وميل للعزلة وانطواء و... أخذها أهلها عند الطبيب النفساني وكذا طبيب الأعصاب فلم يفد أحدهما لا في تشخيص مرضها ولا في علاجها . جلست مع الثلاثة وسمعتُ من الفتاة ومن والديها وملتُ مسبقاً إلى أن مشكلة الفتاة نفسية ولا تحتاج أبداً إلى رقية . ومع ذلك فأنا أرقبها من أجل طمأننتها وطمأننة أبيها المتعلقين بالرقية . ولكن بعد الرقية أردتُ أن أتوسع في الحديث مع الثلاثة والسماع منهم لعلني أعرف سرا للمرض وتشخيصاً له . لاحظتُ عندئذٍ وكأن الفتاة تريد أن تتكلم معي بعيداً عن والديها . استأذنتُ من والديها أن يتركاها معي ويجلسان أمام الباب مباشرة , بعد ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه حتى نتجنب الوقوع في الخلوة المحرمة . أعطيتُ الأبوين كرسيين ليجلسا عليهما أمام الباب وبدأتُ في السماع من البنات . في البداية ترددتُ ولكنني طمأننتها إلى أنني لن أعرف ما بها ولن تشفى مما تعاني منه إلا إذا تكلمتُ وصارحتُ وصدقتُ وأخلصتُ , وأكدتُ لها أن الراقي هو مثل الطبيب والإمام والعالم هم جميعاً خزائن أسرار للناس جميعاً , ومنه فـ" ثقي أن سرّك لن يُكشف لأحد من الناس بإذن الله تعالى " .

بدأتُ الفتاة تحكي ويا لسوء ما حكّتُ وما قصتُ . عم الفتاة تعود منذ حوالي سنتين على :

أ- أن يأتي إلى بيت أخيه (أي أبيها هي) عندما يكون أبوها وأمها غائبين (وأما إخوتها فكانوا ما زالوا صغاراً) .

ب- أو يأتي إلى بيت أهلها يوم الإثنين مساءً أو الخميس مساءً أو الجمعة حيث لا دراسة , ويستأذن من أبيها (أي من أخيه) في أخذ الفتاة (ابنة أخيه) معه في سيارته ليتجول معها قليلاً في أرجاء المدينة ليروح عن نفسها حتى تقبل على الدراسة بعد ذلك بنفس أكبر وبنشاط أعظم .

ولكن الأب كان يستغل للأسف الشديد , يستغل الدارَ الفارغة أو جولاته ونزهاته مع ابنة أخيه ليزني بها . طبعاً بدأ معها بالكلام ثم اللمس والتقبيل ثم المداعبات ثم ... ولما وجد مع الوقت تجاوباً من طرف البنات أصبح يزني بها الزنا الكامل والتام . في البداية كان يزني بتحفظ ثم أصبح يزني بشكل عادي ويمارس الجنس مع ابنة أخيه وكأنه يفعل ذلك مع زوجته . استمر الأمر على ذلك حوالي عام ونصف وكان الرجل شيطاناً وكان الفتاة مخمورة , ثم فجأة بدأ ضميرها في الاستيقاظ وبدأت تحاول باللين مع عمها أن يتوقف عن زناه , ولكنه لا يريد أن يتوقف وهي لا تريد أن تغضبه , فأصيبت بما أصيبت به , مما بدا لأهلها أنه سحر أو عين أو جن , ولكنه في الحقيقة مشكلة نفسية بحثة لا علاقة لها بالرقية لا من بعيد ولا من قريب .

سمعتُ من الفتاة عجا , وتألّمتُ كثيرا للرجل يزني بابنة أخيه وللفتاة تحبُّ (كما صارحتني) هذا الزنا وتتمناه وتشتاق إليه وتنتظره من أسبوع إلى آخر ... وللشيطان كيف يلعب ببعض الناس وللفطرة كيف تفسد و...

أكدتُ للفتاة في البداية أن ما فعلته منكر وزنا وسقاة وانحراف وفسق وفجور وفاحشة ومقت وجريمة عظمى وانحراف عن الفطرة السليمة . الزنا العادي بالأجنبية فاحشة , ولكنه لا يتناقض مع الفطرة السليمة لأنه محبب إلى النفوس , ونحن لا نمتنع عنه إلا لأنه حرام , وأما زنا المحارم فهو مناف للفطرة السليمة , والشخص يرفضه وينفر منه فطرة , ولا يفعله إلا الشواذ من الناس رجالا أو نساء . وطلبتُ منها أن تتوقف وفي الحين عن ارتكاب هذا المنكر أو مقدماته مع عمها , ومعاهدة الله على تجنب الزنا ومقدماته مادامت حية مع عم أو مع أي أجنبي " توبي إلى الله في الحين واصدقي مع الله وأخلصي لله عسى أن يقبل منك , ويمكن أن يرزقك الله في المستقبل بزواج صالح لا يعرف خيانتك السابقة , يسعدك وتسعدينه " . قلتُ لها " ما رأيك لو أخبر أبويك؟! " , قالت " لا !. رجاء لأنه سيقتلني حتما , ويمكن أن يحاول قتل عمي كذلك , ولكن عمي هو الذي سيقتله لأن عمي هذا جبار وسفاك للدماء ولا يتورع عن أي ذنب في الدنيا مهما كان عظيما وكبيرا " .

قدمتُ لها النصائح والتوجيهات المناسبة لتساعدنا على العيش في جو نظيف وللتخلص نهائيا من فسقها وفجورها , وطلبتُ منها أن تكثر من الدعاء والاستغفار , ومن صلاة النافلة ومن صيام التطوع ومن قيام الليل ومن فعل الخير ومن الصدقة و ... وأن تهتم بدراساتها و ...

وعندما انتهيتُ من السماع منها ومن الحديث معها ناديتُ أبويها وأخبرتُهما بأن ابنتهما إن شاء الله سيتجه أمرها من اليوم فصاعدا إلى خير , ثم خلوتُ بعد ذلك بالأب وطلبتُ منه بطريقة معينة غير مباشرة (تجعله لا يشك في أخيه) , طلبتُ منه أن لا يترك الدار أبدا وحدها للأولاد وللبنات الكبيرة , وأن لا يترك الفتاة تخرج من الدار (إلى غير المؤسسة التعليمية التي تدرس فيها ابنته الكبرى) مع أي كان إلا مع الوالدين , وشجعتُ على ربط البنت بالبيت من أجل اهتمامها بالدراسة وبتقوية إيمانها وبالابتعاد عن الشارع الفاسد و ... ومن حسن تقدير الله معي أن الرجل لم يشك في أخيه , ربما بسبب طبيته الزائدة والمبالغ فيها . شكرني الأبوان وكذا البنت وانصرفوا .

ثم بعد حوالي شهر من هذه الزيارة أرجع الأبوان البنت إلي ليخبرني الجميع بأن الفتاة شفيت إلى حد كبير جدا مما كانت تعاني منه وأنها مستغرقة في دراستها وفي عباداتها والحمد لله , وأخبرتني الفتاة كذلك بأنها أوقفت كل اتصالاتها مع عمها وأنها أخبرته جادة وحازمة بأنه إما أن يقطع اتصاله بها نهائيا , وإما أنها ستشتكي به إلى أهلها وإلى السلطات المدنية في المدينة . حذرته فخاف والحمد لله . ووجدتُ الفتاة في هذه المرة الثانية شخصا آخر يختلف كل الاختلاف عن التي رأيتها من قبل . من قبلُ كانت شبه امرأة وأما التي رأيتها الآن وفي المرة الثانية فهي فتاة عادية تماما : بدا لي بأنها كانت شيطانا فرجعت خلال شهر إلى صراط

الله المستقيم , أتمنى من الله أن يتوب علينا وعليها , كما أتمنى من الله أن يزوجه عن قريب بمن يسعدها ويسعده . اللهم اغفر لنا وارحمنا وغلبننا على أنفسنا وعلى الشيطان .

71- من أمثلة المرضى الشواذ :

من أمثلة الرجال الشواذ أو على الأقل المرضى , من طلبني أهله حوالي 1990 م لأرقيه : ذهبت إلى الدار فوجتُ شابا عمره حوالي 20 سنة طريح الفراش منهار المعنويات خاصة , عرض نفسه على الأطباء فلم يفيديوا في علاجه من كثير من القلق والوسواس والخلعة والخوف والأرق والاضطراب في النوم والأوجاع في أكثر من موضع من الجسد و ... ولعل السبب في عدم شفائه على يد الطبيب هو أمران : الأول أنه لم يستشر طبيبا نفسانيا بل زار طبيبا عاما فقط , والثاني أنه لم ييح بأسراره الخاصة للطبيب . طلبتُ منه أن يتحدث إلي بما يقلقه ويزعجه , فطلب هو من أبيه وأمه وأخته وأخيه أن يخرجوا ويتركوني معه وحده . سمعتُ منه العجبَ خلال أكثر من ساعة , فعلمتُ أنه راغب (أكرمكم الله) جنسيا في أخته , ولأنه يعلم أن ذلك كبيرة من الكبائر وشذوذ كبير فإنه بقي لشهور يقاوم ويقاوم , فأصيب بما أصيب به . قدمتُ له النصائح المناسبة ورقيته فقط استجابة لطلبه وطلب أهله , لأنني مقتنع بأنه لا يحتاج أبدا إلى رقية شرعية .

نصحته ووجهته , ثم طلبت الجلوس مع الأخت والأم وحدهما , ووجدت حرجا في تقديم النصيحة لهما بوجوب الستر الزائد أمام الشاب (أي الأخ والإبن) . ومع ذلك غالبتُ نفسي واخترت الطريقة المناسبة ونصحت وأكدت على النصيحة بوجوب الستر الزائد مع الإبن والأخ وكأنه أجنبي عنهما . ورأيتُ في ذلك الوقت وكأن الأم لم تفهم عني شيئا , ولكنها وعدت بالتطبيق , وأما الأخت فبدأ لي بأنها فهمت غرضي وقصدي . وأنا أحمد الله تعالى على أن هذا الشاب بتوفيق الله أولا , ثم بسبب عمل الشاب والأخت والأم بالنصائح والتوجيهات , فإن الشاب اتجه أمره إلى الشفاء خلال حوالي أسبوعين فقط بعد معاناته من المرض لشهور عدة قاسى معها الأمرين حتى خاف على نفسه من الجنون . ومضى على هذه الحادثة حوالي 20 سنة وهذا الشاب أصبح الآن رجلا كامل الرجولة وصالحا مصلحا , هاديا مهتديا بإذن الله تعالى . وبعد حوالي 6 أشهر من شفائه عادت الأم والأخت إلى لباسهما المعتاد مع الشاب , كلباسهما السابق , أي كلباسهما مع أي محرم , والحمد لله أولا وأخيرا .

72 - أراد أن ينتقم مني لأنني أخبرته بأنه عاجز :

جاءني رجل منذ سنوات طويلة من أجل رقية له ولزوجته , لأنه تزوج في الأيام الماضية وما زال لم يقض حاجته بعد من زوجته . سمعتُ منه ومن زوجته بالتفصيل من أجل أن أعرف سبب عدم قضاء حاجته : هل هو عضوي أم أنه نفسي (تعب وخوف و ...) أم أنه سحر ربط ؟ , لأن كل سبب يعالج بالطريقة المناسبة والمتفقة معه . تكون لدي انطباع في البداية بأنه ليس بهما أي سحر , أي أن المشكلة إما نفسية أو عضوية . ومع ذلك وتحت إلحاح الزوجين علي رقيتهما مرة ثم بعد أيام قليلة رقيتهما مرة ثانية ولم يتبين لي أي أثر لسحر أو ربط سواء للزوج أو للزوجة . بقيت مشكلتهما قائمة بعد أن رقاها أكثر من راقى , بقيت لشهور عدة . وبعد حوالي 3 شهور اتصل بي الزوج وطلب مني رقية ثالثة له ولزوجته . استجبتُ للطلب ورقيتهما بعد أن سمعتُ منهما أكثر مما سمعتُ في المرتين الأولى والثانية . وفي نهاية هذه الجلسة الثالثة تكون عندي شبه يقين بأن المشكلة عضوية وهي أن الزوج عاجز جنسيا . صارحتُ الزوج بذلك , وقلتُ له " أنا لستُ طبيبا , وأنا لم أفحصك لأن هذا ليس من صلاحياتي , ولكنني أعطي رأبي : أنت يا فلان عاجز جنسيا ولستُ مسحورا , وأما زوجتك فليس بها شيء . أسأل الله أن يشفيك وأن يبارك لك في زوجتك وأن يبارك لها فيك وأن يجمع بينكما في خير [هذا مع ملاحظة أن العجز الجنسي عند الرجال نادر جدا , ولكن علاجه صعب جدا حتى اليوم في أغلب الأحيان . بعد ذلك بحوالي شهر سمعتُ بأن الرجل يريد أن يطلق زوجته على اعتبار أنها مسحورة ولم ينفع الرقاة في علاجها , وذلك من أجل أن يحطم لها مستقبلها !. هو يريد أن ينتقم لعجزه الجنسي [لأنه تبين - طبيبا وعضويا - بعد الطلاق , بأن الرجل بالفعل عاجز جنسيا] من هذه المرأة المستضعفة . رأيتُ عندئذ أن من واجبي الشرعي مهما كان الأذى الذي يمكن أن يأتيني نتيجة لذلك , أن أتدخل لأنه لا أحد يعرف حقيقة الأمر مثلي أنا . اتصلتُ بعائلة الزوجة وأخبرتهم بأن ابنتهم ليس بها شيء , وأذكر أن الزوجة عندما سمعتني أقول لأهلها ما قلتُ بكت طويلا من الفرح لأنها رأت أنني رفعت عنها التهمة الباطلة التي يمكن أن تعطلها عن الزواج طيلة حياتها [والحمد لله على أنها - بعد الطلاق - تزوجت من رجل صالح , وهي تعيش معه اليوم على أحسن حال] . واتصلتُ بعائلة الزوج وبالزوج وقلتُ لهم بأن المرأة ليس بها شيء وأن الزوجين ليس بهما أي سحر , ولم أذكر لعائلته بطبيعة الحال أمر العجز الجنسي لأنني من جهة لم أكن متأكدا من ذلك 100 % , ولأنني من جهة أخرى لم أرد أن أخرج عائلته بمشكل مثل هذا , سوف يقلقهم كثيرا . وأذكر أنني قلتُ للزوج وعائلته " إن أردتم أن تطلقوا فلا تظلموا المرأة , وقولوا مثلا (لم نتفق , لذا وقع الطلاق) , ولكن الذي لا يجوز أبدا هو أن تلتصقوا بالمرأة أمرا هي بريئة منه تماما . رجاء لا تظلموا المرأة فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " .

وقلتُ للزوج بيني وبينه " المطلوب منك الآن أن تسعى من أجل علاج نفسك لا أن تنتهم المرأة بما ليس فيها " , وبالطبع فإن موقفي هذا منه ومن زوجته ومن الطلاق الذي كان مقبلا عليه أو غير صدره ضدي كثيرا , خاصة وأنه رأى أنني الوحيد الذي كشفتُ له عن عجزه الجنسي , وخاصة كذلك أن العجز الجنسي يمس أمرا من خواص رجولة وفحولة الرجل , أي رجل في الدنيا كلها . ولذلك فإنني رأيتُ أن الرجل كأنه تمنى لو أن الأرض انشقت تحت قدميه ولم أعلم أنا بعجزه الجنسي !. لذلك حقد علي كثيرا وظهر بعضُ حقه علي من خلال لقائي الأخير

به قبل أن يُطلق عندما أكدت له بأن المرأة سليمة وأن المشكل فيه هو . وواضح بطبيعة الحال أن العيب ليس في المرض في حد ذاته لأن المرض قضاء وقدر يجب أن نُؤمن به جميعا كمسلمين مؤمنين , وكل واحد منا يمكن أن يمرض , ولكن العيب كل العيب هو في إنكار المرض ومحاولة الانتقام باتهام وظلم الغير . طلق الرجل زوجته بعد ذلك بأيام , ثم تزوجت هي بعد ذلك بسنة أو أكثر .

ومضت على ذلك سنوات عدة (3 أو 4 سنوات) ثم أخرجتُ أنا تلميذة من قسمي بالثانوية , بسبب لباسها الفاضح , ثم جاء وليها (وهو ليس أباهها بطبيعة الحال) يسبني ويشتمني كما قصصتُ القصة في وقفة أخرى . عندما سبني وشتمني هذا الرجل تعجبتُ في ذلك الوقت لماذا وقع ذلك؟! . بحثُ عن سبب مباشر فلم أجد , حاولتُ ثم حاولتُ فلم أجد شيئا , ولكنني عندما تذكرتُ بعد أيام أن الرجل هو نفسه الذي كشفتُ له ولزوجته من سنوات عن عجزه الجنسي , عرفتُ السببَ غير المباشر لحقده علي واندفاعه المبالغ فيه إلى سبي وشتمني .

وإذا عرف السبب - مباشرا أو غير مباشر - بطلَّ العجبُ كما يقولون .

73- أنا لا أدري لماذا يصر بعض الناس على العقلية الأحادية؟! :

قال لي في يوم من الأيام أخ كريم " لقد أرسلتُ ابنتي من المدينة التي نساكن فيها إلى مدينة أخرى تبعد عنا بحوالي 150 كلم , حيث يسكن عمها . أرسلتها هناك لتقضي عند عمها أياما من عطلتها الجامعية . ولأنني أخاف على ابنتي كثيرا من أولاد الحرام من الرجال , فإنني اتصلتُ بها عن طريق الهاتف فيما بين المدينتين مرارا وتكرارا لأطمئن عليها ولأوجهها ولأحذرهما من أولاد الحرام و... واتصلتُ بعمها عن طريق الهاتف وأكدت له أكثر من مرة على وجوب استقبال ابنتي بمجرد وصول الحافلة التي تقلها إلى المدينة الثانية . طلبتُ منه أن يستقبلها بعد وصول الحافلة مباشرة ليأخذها معه إلى بيته ولا يترك لها فرصة لكي تذهب هنا وهناك و ... أو حتى لتفكر في الذهاب إلى أي مكان غير دار عمها و...".

ولأنني أعرف ابنة هذا الرجل التي كانت متدينة وفاضلة وصاحبة حياء وأدب وأخلاق و... , وأعرف أننا عموما في أمن وأمان خاصة في المدينتين وما بينهما , وأعرف أن الفتاة انتقلت في سفرها عبر الحافلة التي نصف ركابها تقريبا نساء و ... فإنني قلتُ للرجل " أنا لو كنتُ مكانك ما خفتُ على ابنتي مثلما خفتَ أنت , وما تشددتُ معها كما تشددتَ أنت " , فأجابني غضبانا وقال لي " يجب أن أخاف على ابنتي وأن أقلق عليها أكثر , ويجب أن أتشدد معها وأعسر الأمور أمامها أكثر وأكثر حتى أغلق أمامها أية إمكانية للانحراف وأية إمكانية للإعتداء عليها " .

قلتُ له " أخي ... أنا أرى أنك تشددت مع ابنتك زيادة عن اللزوم , ومع ذلك أنا مقتنع 100 % بأنك تقصد خيرها ومصحتها ... أنا أرى بأن التشدد مع الفتاة والميل إلى سوء الظن بها و ... قد يثيرها ويستفزها ويجعلها تتعود على الكذب عليك وعدم مصارحتك والظهور أمامك بوجه غير وجهها الحقيقي و ... ولكنني مع ذلك أحترم رأيك كل الاحترام وأضعه على رأسي وفي عيني , وأنا أعلم يقينا بأن نيتك حسنة وبأن قصدك طيب ... أنا وإن كنت أحترم رأيك إلا أنني لو كنت مكانك لن أفعل مع ابنتي مثلما فعلت أنت ... أنا أميل إلى التساهل مع ابنتي وإلى حسن الظن بها وإلى التماس الأعذار لها وإلى إعطائها مساحة لا بأس بها من الحرية (بدون مبالغة بطبيعة الحال , أرخي لها الحبل ولكن رأس الحبل يبقى دوما بيدي) , وأرى أن هذا هو التعامل الأمثل مع البنت بعد أن ربيناها وكوناها لسنوات وسنوات على مبادئ الإسلام والإيمان ... أنا وإياك نقصد في النهاية مصلحة البنت ولكن أنت بطريقتك المحترمة وأنا بطريقتي المحترمة كذلك , وفي كل خير , والله وحده أعلم بالرأي الأصوب " .

ازداد غضبه , وكأنني قلتُ له كفرا أو فسقا وفجورا , وقال لي " يجب أن نقطع الآن حديثنا هذا ما دمت تريد التعامل مع ابنتك بهذه الطريقة المائعة والمنحلة , والتي تسمح للذئاب أن يعتدوا عليها وبسهولة ... أنت بهذه الطريقة لا تغار على ابنتك ولا تحرص على مصحتها ولا تخاف عليها وعلى شرفها وحيائها وأدبها وخلقها و ... لا يُقبل منك أبدا إلا أن تخاف على ابنتك كما أخاف عليها أنا , وأن تتشدد مع ابنتك كما أتشدد أنا مع ابنتي . ولا يجوز لك أبدا أن ترى ما فعلته أنا مع ابنتي تعصبا وتشددا وتزمنا ... والخلاصة هو أنه يجب عليك أن ترى فقط ما أراه أنا هنا وفي هذه المسألة بالذات , لأن رأبي هنا هو وحده الحق والهدى والرشاد الذي ما بعده إلا الباطل والضلال والغي " !!! .

ولا تعليق عندي على ما قال لي هذا الرجل إلا " سبحان الله لماذا يصر بعض الناس على العقلية الأحادية في المسائل الخلافية الفرعية الثانوية الاجتهادية " !؟ .